الصفوة

من الصحابة والتابعين

تأليف

محمد حمدي عبد الحميد

(أبو حاتم)

الصفوة

من الصحابة والتابعين

تأليف

محمد حمدي عبد الحميد

(أبو حاتم)

الترقيم الدولي I . S . B . N
٩٧٧ - ١٧ _ ٥٤٧٦ _ ٩

مكتبة مصر
كتب دينية ومدرسية وقصص أطفال
الغاز وأدوات مدرسية
ش ٢٣ يوليو أمام بنك مصر
ت ٢٣٢٢٣٠٧٤
يوجد لدينا مؤلفات محمد حمدي عبد الحميد
(أبو حاتم)

الإهداء

إلى نبض قلبي وقرة عيني

ولدي الأستاذ حاتم وزوجته

فلولاكما لما ظهر هذا الكتاب

ولما خرج إلى النور

فشكرا لكما .. مع تقديري

وإعزازي .. ومودتي

حمدي عبد الحميد

مقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب .. قدر الأقدار .. وسبب الأسباب .. جعل قصص الأولين عظة وعبرة لأولى الألباب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله شهادة موقن بها غير شاك فيها .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد العالي الجناب سيد ولد آدم بلا فخر وعلى آله الطاهرين وصحبه الصالحين خير من اعتبر بالقصص والآيات ... وامتثل لربه وأناب ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا)

ويقول صلى الله عليه وسلم (تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني)

هؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اختارهم الله لصحبته ونقل دينه .. آثروه على الأنفس والأموال وبذلوا النفوس دونه في كل حال .. وصفهم الله تعالى في كتابه فقال : " رحماء بينهم " قاموا بمعالم الدين وناصحوا الإجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله ، واستقر دينه ، ووضحت أعلامه وأذل الله بهم

الشرك ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الذكية والأرواح الطاهرة العالية .. نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها .. هم حجج الله تعالى على خلقه .. ألبسهم النور الساطع من محبته ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته وطهر أبدانهم بمراقبته وكساهم حللا من نسج مودته .. كانوا في الحياة لله أولياء وكانوا بعد الموت أحياء أصحاء .. رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها .. وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها ..

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله عز و جل نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته .. ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم يقاتلون عن دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ ..

هؤلاء هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

وقد أوصانا رسولنا الكريم بأن نهتدي بصحابته الكرام فقال صلى الله عليه وسلم (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)

ونهانا صلى الله عليه وسلم عن سب أصحابه فقال (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصفه)

وقال صلى الله عليه وسلم (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا)

وقال الإمام الذهبي رحمه الله : إنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله ، وتعليم فرائضه وسننه ، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضا ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئا .

فهم الذين نقلوا إلينا شعائر الإسلام وسنة رسوله .

ولما كانت القدوة الصالحة خير حافز للإنسان للالتزام بالأوامر الدينية والإبتعاد عن المنهيات الشرعية والتحلي بالأخلاق الكريمة فقد فرض الله على الإنسان أن ينظر في أخبار الأمم السابقة ليعلم العاقبة الحسنى لمن كان عمله خير ورشاد والعاقبة السوء لمن أضاع عمره في اللهو والفساد..

يقول الله تعالى : **﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾**

الأعراف آية ١٧٦

فكان حقا علينا أن نعود إلى قصص الصالحين السابقين إلى الإيمان .. إلى الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. أخلصوا عبادتهم لله فرضي عنهم وخافوه فأخاف منهم كل شئ وانتصر لهم ..

وقد آليت على نفسي الخوض في سير هؤلاء الصحابة الميامين الذين عاشوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم رغبة مني في تقديم صورة حقيقية عن حياة الصحابة الذين ساهموا في نشر الوعي الصادق والفهم المستنير لهذا الدين القويم ..

وكان كتابي مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم تسجيلا لنبض القلب وأنا أقلب وأبحث في حياة هؤلاء العظماء ..

واليوم ومع كتابي الصفوة أواصل البحث والتنقيب علني أخرج بحبات من الماس واللؤلؤ تتمثل في الحكم والدرر في حياتهم التي نستظل بنورها وأشعتها ونهتدي بهديهم ..

تخرج في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير والكثير من الصحابة الذين عاشوا حول الرسول ونهلوا من نبعه العذب الطاهر ..

كما تخرج فيها كثير من التابعين وعلى رأسهم الخليفة المؤمن الذي ملأ الدنيا عدلا ورحمة والذي شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وهو جالس بين الشيخين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ينهج نهجهما ويسير على دربهما ..

إنه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين حفيد الفاروق عمر بن الخطاب .. وقد آثرت أن أسلط الضوء عليه وأستضيف سيرته العطرة الكريمة المباركة على صفحات هذا الكتاب وقد رأيت أن أقسم هذا الكتاب إلى قسمين

القسم الأول : يخصص للصفوة من الصحابة

القسم الثاني : يخصص للصفوة من التابعين

وأسأل الله تعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به

إنه نعم المولى ونعم النصير ..

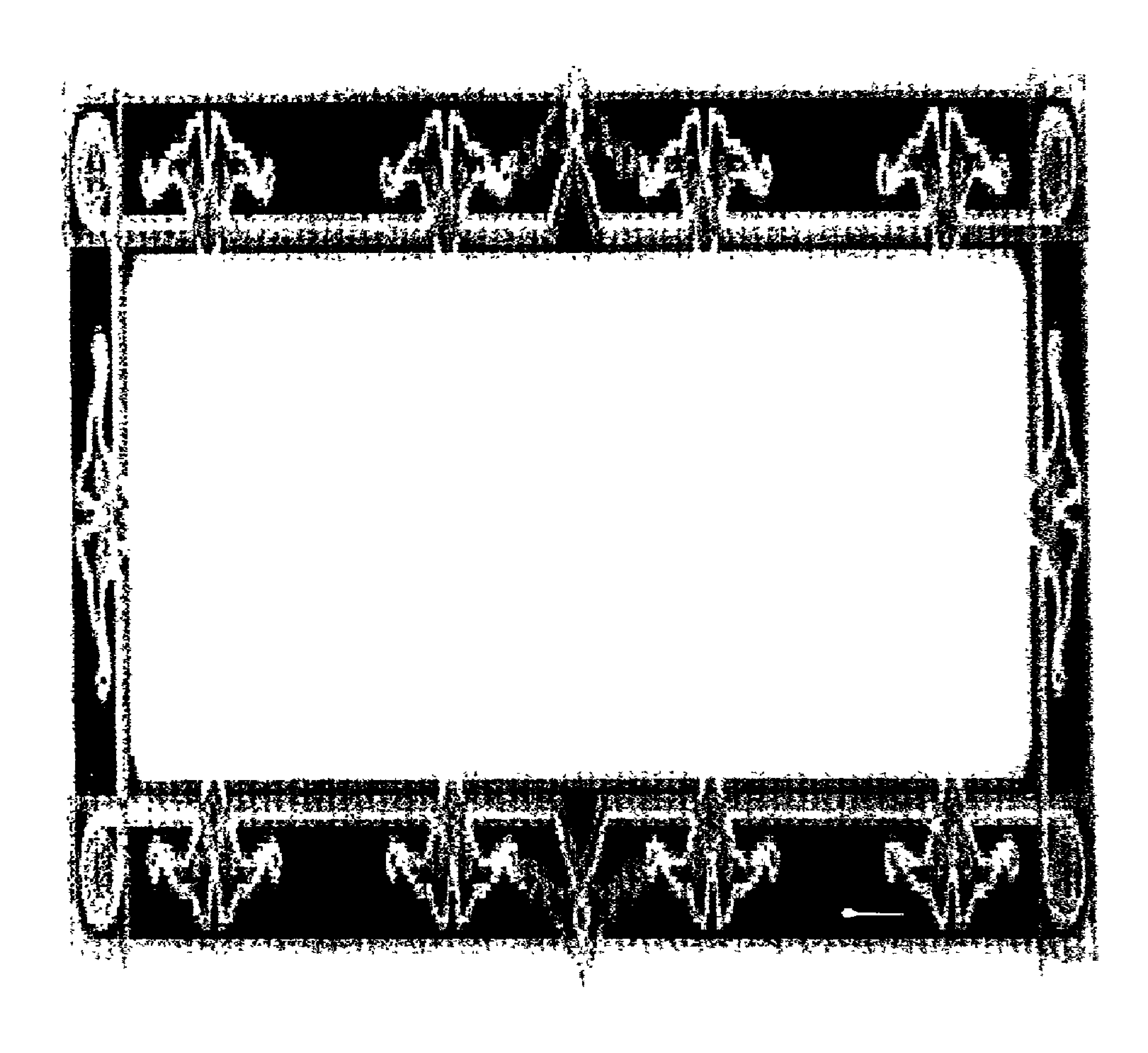
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المؤلف

محمد حمدي عبد الحميد

القسم الأول

الصفوة من الصحابة





أبو عبيدة بن الجراح

أمين الأمة

هو الصحابي الجليل عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب ابن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1]

أحد العشرة المبشرين بالجنة .

وكان يكنى بـ أبو عبيدة ... وقد غلبت عليه كنيته حتى أصبح لا يُعرف إلا بها ..

أسلم على يد أبي بكر الصديق قبل أن يدخل الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم .. وكان من فضلاء الصحابة .

ولما أسلم أبو عبيدة بن الجراح حاول أبوه أن يرده عن دينه فلم يفلح فضيق عليه فصبر .. حتى هاجر الهجرتين .

وفي المدينة المنورة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سيد الأوس سعد بن معاذ ..

شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ..

من مناقبه

- عن أبي قلابة قال : حدثني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح)

---

(١) الإمام جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسيّ (ابنُ المِبْرَدْ) الشجرة النبوية في نسب خير البرية دار حراء ، ص ٢٥٢

- رُوي أن وفدا مَن نجران قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعث معهم رجلا من أصحابه يرضاه لهم يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ويحكم بينهم فيما يختلفون فيه ..

قال الرسول (ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين)

وتمنى كل من الصحابة اختيار الرسول له ، وقال عمر بن الخطاب ما أحببت الإمارة قط حبي إياها ذلك اليوم رجاء أن أكون صاحبها ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره فجعلت أتطاول ليراني ، فلم يزل يتلمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال :

أخرج معهم فأقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه ..

قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة ١

- وحين انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى واجتمع المسلمون في السقيفة وكثر الخلاف بينهم وتعددت الآراء خاف عمر أن يفلت الزمام فيتفرق المسلمون ، فتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو عبيدة أمين هذه الأمة ، فذهب إلى أبي عبيدة وقال له :

أبسط يدك أبايعك ، ودُهش أبو عبيدة لقول عمر بن الخطاب إذ تذكر أبا بكر الصديق وأنه الخليل الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر :

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥١٢

ما عددت عليك يا بن الخطاب هفوة قبلها ، كيف أكون إماما للمسلمين فيصلي ورائي أبو بكر وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار ، وقد استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليصلي بالناس ..

وكأن الأرواح المؤمنة كانت تتناجى وتتجاوب ، ففي حوار السقيفة ذكر أبو بكر أنه يرضى أحد الرجلين : عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح

فالمسألة وزن للقيم الإسلامية في نظر كل واحد من هؤلاء ، ومن جهة أخرى هي إيثار وتضحية لأن كل واحد من الثلاثة الكرام لا يذكر نفسه بحال بل يذكر غيره ويرشحه على رؤوس الأشهاد [1]

- وقد رُوي أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه ذات يوم تمنوا :

فقال أحدهم أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه في سبيل الله عز وجل ..

وقال آخر : أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤا أو جوهرا أو نحوه أنفقه في سبيل الله عز وجل وأتصدق به ..

ثم قال : تمنوا .. فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين ..

فقال عمر : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح [2]

- ورُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال وهو يجود بأنفاسه الأخيرة :

---

(١) د . محمد رجب البيومي ، أبو عبيدة بن الجراح ، ص٥

(٢) الإمام ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ص١٣٨

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته ، فإن سألني ربي عنه قلت استخلفت أمين الأمة وأمين رسوله ..

جهاده في سبيل الله

في غزوة بدر

تجلى إيمان أبي عبيدة بن الجراح وضرب مثلا رائعا في صدق الولاء لله ولرسوله ، فقد شهد بدرا والمشاهد كلها ..

قال عبد الله بن شَوذب : جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر يريد قتله لأنه أسلم ، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله ، فأنزل الله حين قتل أبو عبيدة أباه قوله تعالى : **﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ﴾** ١

غزوة أحد

جاء في صحيح ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال أبو بكر الصديق : لما كان يوم أحد رُمي النبي صلى الله عليه وسلم في وجنته حتى غابت حلقه من حلق المغفر في وجنته فذهبت لأنزعها عن النبي فقال أبو عبيدة : ناشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني ، قال : فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضضه كراهة أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استل السهم بفيه فندرت ثنية أبي عبيدة ..

---

(١) سورة المجادلة ، آية ٢٢

قال أبو بكر : ثم ذهبت لآخذ الآخر فقال أبو عبيدة : ناشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني ..

قال : فأخذه ، فجعل ينضضه حتى استله فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى ١

غزوة ذات السلاسل

جَمعت قضاعة جموعا وتهيأت لغزو المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة عمرو بن العاص لملاقاتهم ووقف ما اعتزموا عليه من العدوان ، فرأى عمرو جموعا كثيفة لأن قضاعة قد استعانت بقبائل أخرى وكانت تخشى أن يفر بعض جنودها إذا اشتد القتال ، فربطت الجنود بعضهم إلى بعض بالسلاسل ، ولهذا سميت الغزوة بذات السلاسل ..

ووجد عمرو بن العاص أن عدد جنوده أقل من جنود العدو بكثير ..

فطلب المدد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمده الرسول بجيش فيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وجماعة من المهاجرين والأنصار ، وجعل أمير الجيش الوافد أبا عبيدة بن الجراح .. ونظر عمرو بن العاص إلى القادمين فقال : أنا أمير عليكم لأني أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستمده فأرسلكم إلى ، فقال المهاجرون

---

(١) الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه ، زاد المعاد ، ج ٢، ص ١٣٩

ممن كانوا مع أبي عبيدة بل أنت أمير أصحابك فقط وأبو عبيدة أمير الوافدين ، فأصر عمرو على أن يكون صاحب الأمر في القيادة وحده .

وأدرك أبو عبيدة أن الخلاف لا يقضي إلى خير ، وأن التواضع أولى وأجدر خاصة وأنه يعلم حب عمرو للرياسة وتشدقه بها ، فهدأ إخوانه ممن عارضوا عمرو واتجه إليه يقول في ابتسامة :

يا عمرو إن آخر ما عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ، وإنك إن عصيتني لأطيعنك .

فقال عمرو : ولكني الأمير عليك ..

فقال أبو عبيدة : وقد وافقت فقم فصل بالناس وأنا خلفك ..

ثم دارت المعركة وانتصر المسلمون وعاد الجيش ظافرا إلى المدينة [1]

- - -

وانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه

وجاءت الأنباء من العراق بانتصار المثنى بن حارثة الشيباني وتقدمه إلى حدود العراق ، وقد بعث يطلب النجدة من المدينة فأضطر الخليفة أبو بكر إلى إجابته ..

وبذلك كانت أمام المسلمين جبهتان قويتان في وقت واحد .. جبهة الفرس بقيادة سعد بن أبي وقاص وجبهة الروم بقيادة خالد بن الوليد ..

وأثناء معركة الروم تلقى أبو عبيدة بن الجراح خطابا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بوفاة أبو بكر الصديق وأنه قرر

---

(١) د . محمد رجب البيومي ، أبو عبيدة بن الجراح ، ص ١٠

عزل خالد بن الوليد من القيادة ووضع الإمارة في يد أبي عبيدة بن الجراح ..

وعلل عمر بن الخطاب عزل خالد بأنه خاف افتتان الناس به لبطولاته وهي بطولات أشعرته بالامتياز ..

وكتب عمر بن الخطاب إلى الآفاق يقول إنه لم يعزل خالدا عن سخطة ولا عن خيانة .. عزله لأن الناس فتنوا به فخشى أن يوكلوا إليه ، فأحب أن يعلموا أن الله هو الصانع ..

ولما التقى عمر بن الخطاب بخالد بن الوليد قال له : إنك عليّ لكريم وإنك إليّ لحبيب ، ولن يصلك مني بعد اليوم ما تكرهه ولن تعاتبني على شئ بعد اليوم ..

- - -

تأثر أبو عبيدة لوفاة صديقه أبي بكر وخشى أن يعلن عزل خالد بن الوليد وهو سيف الله المسلول فتدب الفرقة في الجيش وآثر أن يكتم الأمر حتى تنتهي المعركة ..

جاء في كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد وليتك أمور المؤمنين فلا تستحي فإن الله لا يستحي من الحق ، وإني أوصيك بتقوى الله العظيم

الذي لا يفنى ويفنى سواه ، والذي استخرجك من الكفر إلى الإيمان ومن الضلالة إلى الهدى ، وقد وليتك على جند خالد ، فاقبض الجيش منه ولا تُنفذ المسلمين إلى الهلاك رجاء غنيمة ، ولا تبعث سرية إلى جمع كثير ، ولا تقل إني أرجو لكم النصر ، وإياكم والتغرير وإلقاء المسلمين في الهلكة ، واغمض عن الدنيا عينيك ..

وبعد انتصار المسلمين في اليرموك أبلغ أبو عبيدة بن الجراح خالدا بكتاب عمر بن الخطاب ، فسكت خالد طويلا ثم قال له يرحمك الله ! ما منعك أن تعلمني الأمر حين جاءك ..

قال أبو عبيدة : إني كرهت أن أكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، وما نرى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن إخوان ، وما يضير الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه ...

وتعاون الرجلان ، ولم يلق أحدهما من أخيه إلا ما يحب ، فخالد يعرف فضل أبي عبيدة ومكانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو عبيدة يحسن تقدير مواهب خالد ومزاياه الحربية ..

- - -

وحاصر أبو عبيدة وقواته دمشق لفترة طويلة ، ثم تسلق خالد بن الوليد وبعض الجند أسوارها على سلالم من الحبال وأعملوا السيف في الحامية ، فهرع الناس إلى أبي عبيدة بن الجراح ففتحوا له الباب واستسلموا إليه طائعين ، فأعطاهم الأمان ، وصالحوه على الجزية على أن يحتفظوا بأموالهم وعقيدتهم وحرياتهم ..

وزحف أبو عبيدة إلى بعلبك فطلب أهلها الأمان فأمنهم أبو عبيدة وصالحهم ..

وواصل المسلمون زحفهم إلى حمص وحاصروها .. ولما طال الحصار خرج أهل حمص إلى أبي عبيدة يطلبون الأمان والصلح ، فصالحهم على ما صالح عليه أهل دمشق ..

وانطلقت قوات المسلمين تفتح شاطئ الشام حتى فتحت بيروت ..

ثم بعث أبو عبيدة خالدا إلى قنسرين بعد فتح حمص ، وقتل خالد قائد الروم وزحف إلى قنسرين فحاصرها وسد جميع الطرق المؤدية إليها فأرسلوا إلى خالد يسألونه الصلح على شروط صلح أهل حمص ودمشق فأبى خالد إلا أن يقتحم المدينة فاقتحمها وغنم منها مغانم عظيمة .

- - -

كانت انطاقية في دولة الروم مثل القادسية والمدائن في دولة الفرس وإن لم تكن هي العاصمة ، لكن الأباطرة كانوا يفضلونها على العاصمة القسطنطينية وقد عمروا انطاقية بالمعابد والملاعب والحمامات ودور اللهو وحصنوها بالأسوار العالية الشاهقة التي امتنعت دائما على الغزاة ..

استولى أبو عبيدة بن الجراح على حلب ثم صعد إلى انطاقية فلم تلبث له طويلا على الرغم من حصونها المنيعة إذ هرب منها هرقل بجنده

فقد خاف عليها الدمار بعد الهزائم المتتالية التي ابتلى بها الروم في الشام ..

وسلمت انطاقية فصالحها أبو عبيدة على الجزية ..

وأوصى أبو عبيدة جنده بحسن معاملة أهلها ، كما كان يوصيهم في كل مرة بحسن رعاية أهل الذمة لأنهم في ذمة الله ورسوله .

- - -

وأدرك هرقل الذي انهارت قواه أنها نهاية دولته ..

حقا .. حقا غلبت الروم !

وأسرع هرقل إلى القسطنطينية .. وعندما كانت مرائي سوريا تغيب عنه أشرف على مرتفع من الأرض ونظر إلى سوريا متخاذلا متباكيا وقال من خلال الدمع :

سلام عليك يا سوريا ، سلام عليك لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا .. ١

- - -

ولم يبق في ملك الروم من الامبراطورية إلا إيلياء (بيت المقدس) وغزة وبعض مدن صغيرة في فلسطين ثم مصر وما يليها من الغرب رأى أبو عبيدة أنه لن يستطيع أن يفتح إيلياء إلا إذا قطع عن الروم الامدادات من البحر ، فما بقيت غزة في أيدي الروم سيتمكنون من إرسال أسطولهم بالجنود والعتاد والميرة للدفاع عن بيت المقدس ..

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ١٥٠

من أجل ذلك آثر أبو عبيدة أن يبدأ بفتح غزة فأرسل إليها عمرو بن العاص ، وأمره بأن يفتحها ويستولى على ما حولها من البلاد التي تمد ايلياء ..

وسقطت غزة .. وأسرع ما حولها من المدن في طلب الصلح وأبو عبيدة ما زال يحاصر بيت المقدس ..

وقدر القائد الروماني أطربون أن إيلياء (بيت المقدس) لن تصمد وستنهار كغيرها فآثر أن ينسحب بجيشه سليما إلى مصر آخر معاقل الامبراطورية الرومانية الشرقية فيستعد للكر على جيوش الإسلام ..

وفاوض البطريق أبا عبيدة على الصلح على ألا يسلم المدينة إلا لعمر بن الخطاب نفسه لا لأحد غيره ..

وكتب أبو عبيدة إلى عمر .. فجمع عمر الناس في المسجد ليشاورهم في الأمر ، أيخرج إلى بيت المقدس أم يبقى في المدينة المنورة و استقر الرأي على سفر الخليفة

- - -

ووصل عمر بن الخطاب إلى الشام ، وصالح أهل بيت المقدس على الجزية فقد ثبتوا على دينهم ، وجاءت معاهدة الصلح محققة لمصالح الطرفين وآية من احترام حرية العقيدة والرأي ورعاية حقوق الإنسان .

وسار عمر إلى بيت المقدس حتى إذا بلغ الصخرة المقدسة التي تخفق لها قلوب اليهود والنصارى والمسلمين على السواء أزاح عنها بيده

التراب المتراكم عليها ، وأمر المسلمين أن يبنوا عليها مسجدا ، ثم قصد محراب داود فصلى فيه بالناس ..

وسهر وسهر الناس معه يتعبدون حتى مطلع الفجر فصلى الصبح بالناس ١

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من ؟

قال : أبو عبيدة بن الجراح .. قالوا : الآن يأتيك ..

فلما أتاه .. نزل فاعتنقه .. ثم دخل عليه بيته فلم ير فيه إلا سيفه وترسله ورحله فقال عمر : ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يبلغني المقيل   رواه الإمام أحمد

وعن أبي قتادة أن أبا عبيدة بن الجراح قال : ما من الناس من أحمر ولا أسود ، حر ولا عبد ، عجمي ولا فصيح أعلم أنه أفضل مني بتقوى الله إلا أحببت أن أكون في مسلاخه (جلدة) .

وعن نمران بن مخمر : أن أبا عبيدة بن الجراح كان يسير في العسكر فيقول : ألا ربَّ مبيض لثيابه مدنّس لدينه .. ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين .. بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات .. فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ، ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تغمرهن .

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ١٨٥

الرضا بقضاء الله

عندما انتشر طاعون عمواس واستشهد فيه خلق كثير ، وقف أبو عبيدة أمام قضاء الله كالجبل الأشم ، والطود العظيم لا تلين له قناة أمام أمواج البلاء ، بل يشم منها رائحة الرضا والشهادة ، وأعطانا درسا في حسن استقبال أمر الله تعالى بالصبر الجميل ..

عن طارق بن شهاب قال : إن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة في الطاعون :

إنه قد عَرَضتْ لي حاجة ، ولا غنى بك عني فيها ، فعَجِّل إلي ، فلما قرأ الكتاب قال : عرفت حاجة أمير المؤمنين ، إنه يريد أن يستبقي من ليس بباق ، فكتب : إني عرفت حاجتك ، فحلّني من عزيمتك ، فإني في جند من أجناد المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم ..

فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقيل له : مات أبو عبيدة ؟

قال : لا .. وكأنه قد .. [1]

ذكر وفاته رضي الله عنه

توفي أبو عبيدة بن الجراح في طاعون عمواس بالأردن ، وقبر ببيسان وصلى عليه معاذ بن جبل ، وذلك في سنة ثماني عشرة في خلافة عمر وهو ابن ثمان وخمسين سنة [2]

---

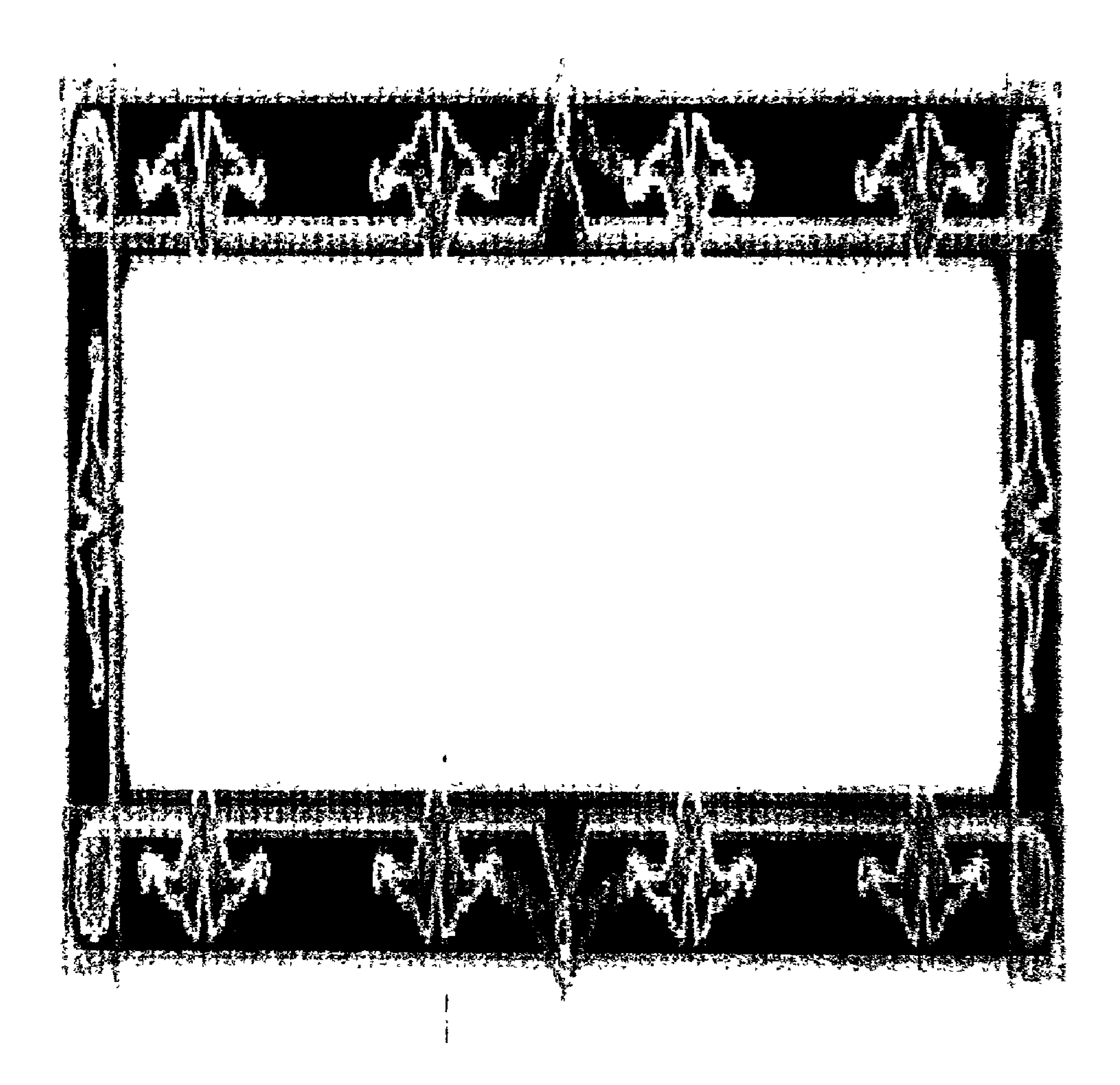
(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ١٠٠
(٢) الإمام الجوزي ، صفة الصفوة ، ص ١٣٨

رحم الله أبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة المحمدية ، فدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بثنيتيه وذلك أن حلقتي المغفر كانتا في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلمها بثنيتيه فانقلعتا ..

كان أبوه كافرا وحاول قتله يوم بدر فحاول أبو عبيدة تفاديه إلا أن والده كرر المحاولة فقتله أبو عبيدة فأنزل الله تعالى في حقه : **" لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم "**

ولم يكن له دَين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لِما رُوي عنه أنه قال : (مَا مِنْ أصحابي أحد إلا لو شئت وجدت عليه إلا أبا عبيدة) ١

(١) ابن المبَرد ، الشجرة النبوية في نسب خير البرية ، ص ٢٥٣





عبد الله بن العباس

حبر الأمة وترجمان القرآن

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون فيه ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ... واشتهر بابن عباس

الرسول صلى الله عليه وسلم يبشر بمولده ويسميه

عن ابن عباس قال : حدثتني أم الفضل بنت الحارث قالت :

بينما أنا مارة والنبي صلى الله عليه وسلم في الحجر فقال : " يا أم الفضل " قلت : نعم لبيك يا رسول الله

قال : " إنك حامل بغلام " قلت : كيف وقد تحالفت قريش لا يولدون النساء

قال : " هو ما أقول فإذا وضعتيه فأتني به " .. فلما وضعته أتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه عبد الله وألباه بريقه – أي حنكه بريقه صلى الله عليه وسلم قال : إذهبي به فلتجدنه كيِّسا

قالت : فأتيت العباس فأخبرته ، فتبسم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وكان رجلا جميلا ، مديد القامة ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قام إليه فقبّل ما بين عينيه وأقعده عن يمينه ثم قال : " هذا عمي فمن شاء فليُباه بعمه " فقال العباس بعض القول يا رسول الله

قال صلى الله عليه وسلم : " ولمَ لا أقول وأنت عمي ، وبقية آبائي ، والعم والد " [1]

وتربى عبد الله بن عباس في كنف النبي صلى الله عليه وسلم .. ورغم صغر سنه لم يضيع من طفولته يوما دون أن يشهد مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحفظ عنه ما يقول ..

يقول ابن عباس : ضمني النبي صلى الله عليه وسلم وقال : " اللهم علمه الحكمة " ..

وقال ابن عباس : رأيت جبريل عليه السلام مرتين ودعا لي رسول الله بالحكمة مرتين .. رواه الترمذي (٣٨٢٣)

كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فوضعت له وضوءا وقالت : يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل "

قال ابن عباس : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الليل فصليت خلفه ، فأخذ بيدي فجرّني حتى جعلني حِذاءَهُ ، فلما أقبل رسول الله خَنَسْتُ – أي تأخرت إلى الوراء – فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرف قال : " ما شأنك .. أجعلُك حذائي فتخنس ؟

فقلت : يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي بحذائك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله .

قال : فأعجبه ، فدعا لي أن يزيدني الله علما وفقها رواه الإمام أحمد

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ١٤٦

الرسول يعظ ابن عباس

قال عبد الله بن عباس : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي : " يا غلام ، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لن ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لن يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف "

رواه الترمذي وقال حديث حسن

وفي رواية غير الترمذي " احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع اليسر يسراً "

وأنذر عشيرتك الأقربين

يقول ابن عباس : لما نزل قوله تعالى ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ صعد النبي فجعل ينادي يا بني فهد ، يا بني عدي ، لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال صلى الله عليه وسلم :

" أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي " ؟

قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا

قال : " فإني نذيركم بين يدي عذاب شديد "

فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا .. ؟ فنزلت :

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ متفق عليه

إبليس في دار الندوة

وما اتفق عليه أئمة الكفر في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول الله تعالى في كتابه العزيز **﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾** [1]

لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح له مؤيدون وأصحاب من غيرهم في بلاد أخرى ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم وأدركوا أنهم قد نزلوا دار آمنة وأصابوا من أهلها حماية ومنعة كما حدث قبل ذلك مع مهاجري الحبشة والنجاشي حذروا من خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وراء أصحابه واجتمعوا لذلك بدار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها وهم يتشاورون عما هم صانعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن عباس رضي الله عنه : لما أجمعوا أمرهم لذلك وتواعدوا في دار الندوة اعترضهم إبليس في هيئة شيخ نجدي ، فلما رأوه قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي تواعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا منه ونصحا ، قالوا : أجل

---

(١) سورة الأنفال – آية ٣٠

فادخل فدخل معهم وقد اجتمع في الدار أشراف قريش فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل – يقصدون محمد صلى الله عليه وسلم – قد كان من أمره ما قد رأيتم فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا عليه رأيا .. فتشاوروا ثم قال أبو البختري بن هشام : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا حتى يصيبه ما أصاب الشعراء الذين كانوا قبله .

فقال الشيخ النجدي (إبليس) : لا والله ما هذا لكم برأي ..

قالوا : لماذا ؟

قال : والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه حتى يوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعونه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبونكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره ..

فقال أبو الأسود ربيعة بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث غدا ..

فقال الشيخ النجدي : لا والله وما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وعذوبة كلامه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم

في بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما يريد ، دبروا فيه رأيا غير هذا ..

فقال عمرو بن هشام (أبو جهل) : والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد .. قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا عند ذلك يرضون بالدية فنؤديها لهم ..

فصاح الشيخ النجدي : القول ما قال أبا الحكم ، هذا هو الرأي ولا أرى سواه .. وتفرق القوم على ذلك وهم يجمعون أمرهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريقة التي ذكرها أبو الحكم ..

يقول ابن عباس : فأتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت فيه ..

فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه .. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لابن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : نم على فراشي وتسجى ببردي الحضرمي فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم ..

ولما اجتمعوا على بابه وفيهم أبو جهل راح يقول لهم : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بُعثتم من بعد

موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جُعِلت لكم نار تحترقون فيها ..

يقول ابن عباس : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ حفنة من تراب ثم قال : نعم أنا أقول ذلك وأنت أحدهم ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم غشاوة فلم يروه فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو قول الله تعالى :

﴿ يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ [1]

وما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلاوته حتى لم يبق رجل منهم إلا وقد وضع على رأسه التراب ، ثم انصرف إلى حيث أراد ..

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم يقال إنه إبليس فقال : ما تنتظرون ههنا ؟

قالوا : محمد

قال : خيبكم الله ، لقد خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انطلق لحاجته ، أفما ما ترون ما بكم ؟

يقول ابن عباس : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله

---

(١) سورة يس – الآيات ١ : ٩

فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما وعليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا .. فقام علي على الفراش فقالوا : والله لقد صدقتنا الذي حدثتنا وأنزل الله تعالى على رسوله الكريم قوله تعالى : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ وأذن الله تعالى لنبيه عند ذلك بالهجرة .. وكانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى المدينة ..

صيام عاشوراء

قال ابن عباس : لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسأل فقالوا إنه اليوم الذي نجا الله فيه موسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نحن أولى بموسى منكم " فصامه وأمر المسلمين بصيامه .. رواه البخاري

اجتهاد ابن عباس بلسان سؤول وقلب عقول

حرص ابن عباس على أن يتعلم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين ما فاته سماعه وتعلمه من الرسول نفسه ، فلا يسمع أن فلانا يعرف حكمة أو يحفظ حديثا إلا سارع إليه وتعلم منه .

وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله فإنهم اليوم كثير ، فقال : واعجبا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترى ؟

قال : فتركت ذلك الرجل وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه ، فتسفى الريح عليَّ التراب فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ! ألا أرسلت إليَّ فآتيك ؟

فأقول : أنا أحق أن آتيك فأسألك عن الحديث ..

قال : فعاش ذلك الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ..

فيقول : هذا الفتى أعقل مني ..

وكان يطلق على ابن عباس الحبر ، والبحر لكثرة علمه .. وكان أكثر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتيا على الإطلاق وكان أفقههم في كتاب الله ..

وفي عهد الخليفة أبو بكر الصديق شُغل أهل المدينة بجمع القرآن.. وكان عبد الله بن عباس مشتغلا بتفسير القرآن وهو بعد شاب .. وكان من رأي عمر بن الخطاب وزير الخليفة أبو بكر مشاورة الشباب للإفادة من توقد قرائحهم ..

وقد سُئل عمر بن الخطاب عن معاني بعض الفاظ القرآن ، ففيه الفاظ لم يجدوها في لغة قريش فقال لهم ابن عباس : إن الرسول صلى الله عليه وسلم علمهم أن القرآن نزل بكل لغات العرب ، فالفاظه ليست هي التي تداولها قريش فحسب ، ثم قال : كنت لا أدري ما (الفتاح) حتى سمعت بنت ذي يزن وهي من أهل اليمن تقول لخصم لها : هلم فاتحني أي حاكمني ، فعلمت أن الفتاح هو الحاكم ، وكنت لا أدري ما (فاطر

السموات) حتى سمعت أعرابيا من أهل البادية ينازع في بئر فيقول أنا فطرتها أي أنشأتها ..

عبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رأى الصحابة الخليفة عمر بن الخطاب يصطحب ابن عباس في مجالس العلماء وكبار الصحابة ويدنيه منه ويعظمه ويعتد برأيه مع حداثة سنه .

ويصفه سعد بن أبي وقاص بقوله : ما رأيت أحدا أحضر فهما ولا أكبر لبا ولا أكثر علما ولا أوسع حلما من ابن عباس .. ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات وحوله أهل بدر من المهاجرين والأنصار فيتحدث ابن عباس ولا يجاوز عمر قوله ..

كان الصحابة يقولون : لِمَ يدخل هذا الغلام معنا ولنا من الأولاد مثله فيرد عليهم عمر بقوله إن لهذا الغلام من العلم والفضل والشرف ما يؤهله لذلك .

سأل عمر الصحابة وابن عباس معهم عن معنى قوله تعالى :

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾

فقالوا : إن السورة بشارة من الله بفتح مكة وأن الله تعالى أمر رسوله بأن يحمد الله ويستغفره شكرا على هذا الفتح .. ثم سأل عمر ابن عباس عن معنى السورة فقال ابن عباس : إن الله تعالى أخبر نبيه بأنه سيقبضه بعد الفتح ، ولهذا أمره بالاستغفار ..

وقد أصبح عمر ذات يوم فقال لأصحابه : قرأت الليلة آية اسهرتني وهي ﴿ **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب** ﴾ ما معنى هذه الآية فقال بعض القوم : الله أعلم .. قال عمر : إني أعلم أن الله أعلم .. ولكن إنما سألت إن كان أحدكم علم بها وسمع عنها أن يخبرني بما سمع .. فسكتوا جميعا .. وكان في الناس عبد الله بن عباس فخطر له المعنى ولكنه تهيب الكلام فيما لا يعرفه الصفوة من جلساء عمر ، وشرع يهمس برأيه فرآه عمر وهو يهمس ، وعلم أنه يتحرج من الجهر برأيه أمام قوم كلهم في سن أبيه ..

فقال عمر : قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك ..

قال ابن عباس : عني الله تعالى بهذه الآية العمل ..

قال عمر : صدقت يا ابن أخي ، عني الله بها العمل .. فابن آدم أفقر ما يكون إلى جنة إذا كبر سنه وكثرت عياله ، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة .. صدقت يا ابن أخي .

وأعجب من عاتبوا الخليفة عمر في أمر ابن عباس بتفسيره ..

فقال لهم عمر : إنه من أجل علمه هذا يقربه ويستشيره ..

قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب يسألني مع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يقول لي : لا تتكلم حتى يتكلموا فإذا تكلمت قال : غلبتموني أن تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام ..

أموال الخوارج وتحرج عمر في قسمتها

كثرت الأموال التي تأتي المدينة من الخراج ، وتحرج عمر في قسمتها بين المسلمين فدعى عبد الله بن عباس لقسمتها ..

يقول ابن عباس : دعاني عمر بن الخطاب فإذا حصير بين يديه عليه الذهب منثور نثر الحصا – وهو التبن الرقيق - ..

قال عمر : هلم فأقسم بين قومك ، فالله أعلم حيث حبس هذا عن نبيه وعن أبي بكر وأعطانيه .. الخير أراد بذلك أم أريد به الشر ؟!

قال ابن عباس : فأكببت على المال أقسمه ، فسمعت البكاء ، فإذا هو عمر يبكي ويقول في بكائه : كلا والذي بعثه بالحق ما حبس هذا عن نبيه وعن أبي بكر اراده الشر بهما وأعطاه عمر ارادة الخير به .. [1]

وكان عمر كما وصفه ابن عباس كالطير الحذر كأنّ أمامه في كل خطوة شركا ..

وعن الأوزاعي قال : قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس : والله إنك لأصبح فتياننا وجها وأحسنهم عقلا ، وأفقههم في كتاب الله ..

اغتيال عمر بن الخطاب وشهادة ابن عباس لأمير المؤمنين

قال ابن ميمون يصف اغتيال عمر بن الخطاب :

إني لقائم في الصف ما بيني وبين عمر سوى عبد الله بن عباس غداة أصيب عمر ، وكان عمر إذا مرّ بين الصفوف قال : استووا حتى إذا لم يكن يرى خللا تقدم فكبر ، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ١٦٠

ذلك في الركعة الأولى حتى تجمع الناس فما هو إلا أن كبّر فسمعته يقول : قتلني الكلب ! حين طعنه الغلام ، فطار العلج بسكين ذي طرفيه لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه ثوبا فحبسه فيه ، فلما ظن العلج أنه مأخوذ قتل نفسه ..

وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه للصلاة ، فمن كان يلي فقد رأى ما رأيت ، وأما نواحي المسجد فإنهم لم يروا ، غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله ! فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة قرأ فيها أقصر سورتين في القرآن العصر والكوثر وحمل عبد الله بن عباس ونفر معه عمر بن الخطاب حتى أدخلوه بيته وربطوا على الجراح ، وانصرف النفر ، وبقي معه عبد الله بن عباس وكان قد غُشي على عمر ، فلما أفاق وقد طلعت الشمس سأل : أصلى الناس ؟

قال ابن عباس : نعم

قال عمر : لا إسلام لمن لا صلاة له ، ثم دعا بوضوء فتوضأ وجراحه مازالت تنزف من خلف الضمادات ، ثم قال : أخرج يا عبد الله بن عباس فسل من قتلني ؟ ثم قال : وهو ينظر في دمه الذي يسيل : أرسلوا إليّ طبيب ينظر إلى جرحي هذا ، واسأل الناس يا ابن عباس أعن ملأ منكم ومشورة كان ما حدث لي ؟

وخرج ابن عباس فسأل الناس وعاد إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس زعموا أنه عدو الله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة ..

قال : الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجّني عند الله بسجدة سجدها له قط ، ما كانت العرب لتقتلني ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، وكان والدك أكثرهم رقيقا !

قال ابن عباس : إن شئت فعلنا بهم ما تأمرنا به نحوهم !

قال عمر : وكيف ذلك بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا بصلاتكم وحجوا حجكم ؟ ثم همهم : أبو لؤلؤة ! ماله قاتله الله ؟! والله لقد كنت أمرت به معروفا !

وجاء الطبيب فسقى عمر لبنا فخرج من الجرح أبيض لم يتغير لونه .

فقال الطبيب : يا أمير المؤمنين اعهد بالخلافة لمن بعدك ، فبكى القوم وصرخت زوجته أم كلثوم بنت علي : واعمراه ! وبكى الرجال والنساء معها ..

فقال عمر لا تبكوا علينا ، مِن كان باكيا فليخرج ، ألم تسمعوا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يُعذّب الميت ببكاء أهله عليه " ثم تلا قوله تعالى ﴿ **وكان أمر الله قدرا مقدورا** ﴾ ثم قال : والله لو أن لي ما على الأرض من شئ لافتديت به من هول المطلع !

فقال ابن عباس : والله إني لأرجو ألا تراها إلا مقدار ما قاله الله تعالى في كتابه ﴿ **وما منكم إلا واردها** ﴾ إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين ، وأمين المؤمنين ، وسيد المؤمنين ، تقضي بكتاب الله ، وتقسم بالسوية

فقال عمر : تشهد لي بهذا يا ابن عباس ، فقال على من خلال الدمع : نعم يا أمير المؤمنين نشهد لك بذلك عند الله يوم القيامة ..

فبكى عمر وأبكى الناس فقال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين والله إن كان إسلامك نصرا ، وإن كانت إمامتك لفتحا ، والله لقد ملأت إمارتك الأرض عدلا ، ما من اثنين يختصمان إليك إلا انتهيا إلى قولك

فقال عمر : أجلسوني ، فلما جلس قال لابن عباس : أعد عليٌّ كلامك فلما أعاده قال له : أتشهد لي بذلك عند الله يوم تلقاه ؟

قال ابن عباس : نعم يا أمير المؤمنين .. أشهد ..

ففرح عمر بذلك وابتسم فتفاعل الناس ورجوا الله أن يشفيه [1]

لقاء ابن عباس مع الخوارج

عندما نشبت فتنة الخوارج بعث الإمام علي بن أبي طالب بابن عباس إليهم فدار بينه وبينهم الحوار التالي :

سألهم ابن عباس : ماذا تنقمون من علي ؟

قالوا : ننقم منه ثلاثا

أولاهن : أنه حكم الرجال في دين الله والله يقول ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾

والثانية : أنه قاتل ، ثم لم يأخذ من مقاتليه سبيا ولا غنائم فلئن كانوا كفارا فقد حلت له أموالهم ، وإن كانوا مؤمنين فقد حرمت عليه دماؤهم

والثالثة : رضي عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين استجابة لأعدائه ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ..

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٢٨٦

وأخذ ابن عباس يفند أهواءهم فقال : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فأي بأس ؟ إن الله تعالى يقول ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم** ﴾ [1]

فنبئوني بالله : أتحكيم الرجال في حقن دماء المسلمين أحق وأولى ، أم تحكيمهم في أرنب ثمنها درهم ..

وتلعثم زعماؤهم تحت وطأة هذا المنطق الساحر والحاسم ..

واستأنف حبر الأمة حديثه : وأما قولكم : إنه قاتل فلم يسلب ولم يغنم فهل كنتم تريدون أن يأخذ عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين سبيا ويأخذ أسلابها غنائم ؟

وهنا كست وجوههم صفرة الخجل وأخذوا يوارون وجوههم بأيديهم ..

وانتقل ابن عباس إلى الثالثة فقال :

وأما قولكم إنه رضي أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين حتى يتم التحكيم ، فاسمعوا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية إذ راح على الكتاب الذي يقوم بينه وبين قريش فقال للكاتب : اكتب هذا ما قاضى عليه رسول الله ، فقال مبعوث قريش : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك .

---

(١) سورة المائدة ــ آية ٩٥

فاكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لرسول الله وإن كذبتم ثم قال لكاتب الصحيفة اكتب ما يشاءون ، هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ..

واستمر الحوار بين ابن عباس والخوارج حتى نهض منهم عشرون ألفا معلنين اقتناعهم ، ومعلنين خروجهم من خصومة الإمام علي بن أبي طالب [1]

مناقبه

قيل لابن عباس : أنّى أصبتَ هذا العلم ؟

قال : لسان مسئول وقلب عقول ..

وقال عنه عبد الله بن مسعود : نِعم ترجمان القرآن ابن عباس ..

وقال عنه مجاهد : كان ابن عباس يسمى بالبحر من كثرة علمه ..

وعن شقيق قال : خطب ابن عباس في موسم الحج فافتتح بسورة النور فجعل يقرأ ويفسر .. فقال شيخ من الحي : سبحان الله ، والله ما رأيت كلاما يخرج من رأس رجل لو سمعته فارس والروم لأسلمت ..

وكان رضي الله عنه جميلا طيب الرائحة

فقال عطاء : ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرت وجه ابن عباس

وعن عكرمة قال : كان ابن عباس إذا مرّ في الطريق قالت النساء أمرّ المسك أم مرّ ابن عباس [2]

---

(١) خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول

(٢) الحافظ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٣٣٧/٣٠

وعن عبد الله بن أبي مُليكة قال : صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل يرتل ويُكثر في ذلك النشيج – والنشيج أحر البكاء –

ومن مناقبه العظيمة

عن أبي صالح قال : لقد رأيت لابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا ..رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجئ ولا أن يذهب ..

قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه فقال : ضع لي وضوءا

قال : فتوضأ وجلس وقال : أخرج فقل لهم :

من أراد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل

قال : فخرجت فآذنتُهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم عنه ، وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ..

ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا ثم قال : أخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل ، قال : فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ..

ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا .. ثم قال :

أخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل

قال : فخرجت فقلت لهم : فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سالوه عن شئ إلا أخبرهم به وزادهم مثله ..

ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا ثم قال : أخرج فقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل ..

قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوا عن شئ إلا أخبرهم به وزادهم مثله ..

ثم قال : إخوانكم ، قال : فخرجوا .. ثم قال : أخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، قال : فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ إلا أخبرهم به وزادهم مثله ..

قال أبو صالح : فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان لها فخرا ، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس ..

- - -

تحدث عبيد الله بن عقبة عن ابن عباس فقال : ما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن عباس ولا رأيت أحدا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير للقرآن ولا بحساب وفريضة منه .. وما رأيت عالما جلس إليه إلا خضع له ولا سائلا سأله إلا وجد عنده علما .. [1]

---

(١) د . محمود عوض سلامة ، تاريخ الفقه الإسلامي ، دار النهضة العربية ٢٠٠٣ ، ص ٢٠٠

وعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض ﴿ كانتا رتقاً ففتقناهما ﴾ [1]

قال : اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعالى فأخبرني ما قال :

فذهب إلى ابن عباس فسأله : فقال ابن عباس : كانت السموات رتقا لا تُمطر ، وكانت الأرض لا تنبت ففتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات

فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره ، فقال : إن ابن عباس قد أوتي علما صدق ، هكذا كانت ..

ثم قال ابن عمر : لقد كنت أقول : ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن علمت أنه قد أوتي علما ..

وعن مجاهد قال : كان ابن عباس يُسمى البحر من كثرة علمه ..

وعن شقيق قال: خطب ابن عباس فافتتح سورة البقرة فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، ولو سمعته فارس والروم لأسلمت ..

وكان طاووس يقول : كان ابن عباس قد بَسَقَ على الناس من العلم كما بسق النخلة السَّحُوقُ على الوَدِيِّ الصغار ..

وعن ابن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس : إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال : إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي

---

(١) سورة الأنبياء – آية ٣٠

إليه أبدا ، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلدا من بلدان المسلمين فأفرح به ومالي به من سائمة ..

وعن أبي حمزة عن ابن عباس قال : لأن أقرأ البقرة في ليلة وأتفكر فيها أحب إلى من أن أقرأ القرآن هذرمة ..

وعن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : يا صاحب الذنب لا تأمنن سوء عاقبته ، وما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته ، قلّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذي صنعته ، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب ، فرحك بالذنب إذا عملته أعظم من الذنب ، وحُزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به .. وخوفك من الريح إذا حرّكت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته ..

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أو جمعة أو ما شاء الله أحبّ إليّ من حجة بعد حجة ، ولطبقُ بدانقٍ أهديه إلى أخ لي في الله أحبّ إلى من دينار أنفقه في سبيل الله ..

وعن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : آخرُ شدّة يلقاها المؤمن الموت ..

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : خذ الحكمة ممن سمعت فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم فتكون كالرمية خرجت من غير رام .[1]

رأي ابن عباس في الخلفاء الراشدين وفي أبيه العباس

دخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش ، فلما سلم وجلس قال له معاوية : إني أريد أن أسألك عن مسائل

قال : سل عما بدا لك

قال : ما تقول في أبي بكر ؟

قال : رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تاليا ، وعن المنكر ناهيا وبذنبه عارفا ، ومن الله خائفا ، وعن الشهوات زاجرا ، وبالمعروف آمرا وبالليل قائما ، وبالنهار صائما ، فاق أصحابه ورعا وكفافا ، وسادهم زهدا وعفافا فغضب الله على من بغضه وطعن عليه ..

قال معاوية : إيها يا ابن عباس !! فما تقول في عمر بن الخطاب ؟

قال : رحم الله أبا حفص عمر كان والله حليف الإسلام ، ومأوى اليتامى ، ومنتهى الإحسان ، ومحل الإيمان ، وكهف الضعفاء ، ومعقل الحنفاء ، قام بحق الله عز و جل صابرا محتسبا حتى أوضح الدين وفتح البلاد وأمن العباد فأعقب الله على من ينقصه اللعنة إلى يوم الدين

قال معاوية : فما تقول في عثمان ؟

قال : رحم الله أبا عمرو كان والله أكرم الجَعْدَة (شجرة طيبة الريح خضراء في أطرافها ثمر أبيض تحشى به الوسائد لطيب ريحها)

---

(١) الإمام ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ص ٢٨٥

وأفضل البررة ، هجادا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار نهاضا عند كل مكرمة ، سباقا إلى كل منحة ، حييا أبيا وفيا ، صاحب جيش العسرة ، وختن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين ..

قال معاوية : فما تقول في علي ؟

قال : رضي الله عن أبي الحسن كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ومحل الحجي ، وبحر الندى ، وطود النهى ، وكهف العلى للورى داعيا إلى المحجة العظمى ، متمسكا بالعروة الوثقى ، خير من آمن واتقى ، وأفضل من تقمص وارتدى ، وأبرّ من انتعل واسعا ، وأفصح من تنفس وقرا ، وأكثر من شهد النجوى سوى الأنبياء والنبي المصطفى ، صاحب القبلتين ، فهل يوازيه أحد ، وأبو السبطين فهل يقاربه بشر ، وزوج خير النسوان فهل يفوقه قاطن بلد ، للأسود قتال وللحروب ختال ، لم تر عيني مثله ولن ترى ، فعلى من انتقصه لعنة الله والعباد إلى يوم التناد ..

قال معاوية : إيها يا ابن عباس !! لقد أكثرت في ابن عمك فما تقول في أبيك العباس ؟

قال : رحم الله العباس أبا الفضل كان صنو نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقرة عين صفي الله سيد الأعمام ، له أخلاق آبائه الأجواد وأحلام أجداده الأمجاد ، تباعدت الأسباب في فضيلته ، صاحب البيت

والسقاية ، والمشاعر والتلاوة ، ولمَ لا يكون كذلك وقد ساسه أكرم من ربٍّ ..

قال معاوية : يا ابن عباس أعلم أنك كَلْمَاني (فصيح اللسان) أهل بيتك

قال : ولمَ لا أكون كذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)

ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام :

يا معاوية إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خص محمدا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال وبذلوا النفوس دونه في كل حال ووصفهم الله في كتابه فقال (رحماء بينهم ..) قاموا بمعالم الدين وناصحوا الإجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت أعلامه ، وأذل الله بهم الشرك وأزال روحه ومحا دعائمه ، وصارت كلمة الله العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء أصحاء ، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها ..

فقطع عليه معاوية الكلام وقال : إيها يا ابن عباس حدثنا حديثا في غير هذا [1]

---

(١) للمؤلف ، مدرسة الرسول ص ١٠٤ ، وانظر محمد رضا ، الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين ، ص٣٠٦

عبد الله بن العباس يفقد البصر

عاش ابن عباس ينشر نور الدعوة ويشرح تعاليم السماء .. وكُف بصره في أواخر حياته .. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر بذلك ..

فعن موسى بن ميسرة أن العباس بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة فوجد عنده رجلا ، فرجع ولم يكلمه ، فلقي العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال : أرسلت إليك ابني فوجد عندك رجلا فلم يستطع أن يكلمك فقال صلى الله عليه وسلم : " يا عم أتدري من ذاك الرجل ؟ "

قال : لا

قال صلى الله عليه وسلم : " ذاك جبريل لقيني ، ولن يموت ابنك حتى يذهب بصره ويؤتى علما . [1]

وعن سماك أنه عندما ذهب بصر ابن عباس أتاه من يعالجون مثل حالته فقالوا : خلِّ بيننا وبين عينيك نسيل ماءها ، ولكنك تمكث خمسة أيام لا تصلي قائما .. قال : لا والله ولا ركعة واحدة .. إني حُدِّثت أنه من ترك صلاة واحدة متعمدا لقي الله عز وجل عليه غضبان .

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ١٥١

وفاة ابن عباس

حانت ساعة الرحيل ، ومات حبر الأمـة عُبيد الله .. ترجمان القرآن ..

فقيه العصر وإمام التفسير .. البحر .. ربانيٌّ الأمة .. الجواد ..

مات كما يمت كل البشر .. فلا خلود لأحد

مات أعلم الناس .. وأحلم الناس .. وزُفـَّ إلى جنة ربه مع من يحب

مـات ابن عباس .. مـات البحر بعد أن عـاش يمـلأ الدنيا علمـا وحكمـة

وينشر بين الناس عبيره وتقواه ..

كان ذا عقل رشيد وفكر سديد وخوف دائم من القوي المجيد

كان طاهر القلب .. نقي النفس يتمنى الخير لكل الناس ولا يحمل لأحد ضغنا ..

كان حصيفا يؤثر السلام على الحرب ، والمنطق على القوة ، والرفق على العنف ، والتسامح على الكراهية ..

أحب الخير لكل الناس ، وكان يؤثر غيره على نفسه فأحبه كل الناس ..

وكان موته كما وصفه جابر بن عبد الله مصيبة لا ترق ، فقد كان أعلم الناس وأحلم الناس ..

وعن منذر قال : لما مات ابن عباس قال ابن الحنفية :

اليوم مات ربّاني هذه الأمة

آية عند الوفاة

توفي ابن عباس بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وكان له من الولد العباس وعلى السجاد والفضل ومحمد وعبيد الله ولبابة وأسماء ..

وعن ميمون بن مهران قال : شهدت جنازة عبد الله بن عباس بالطائف فلما وُضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتُمس فلم يوجد ، فلما سُوِّيَ عليه سمعنا صوتا نسمع صوته ولا نرى شخصية [1]

وتلى قوله تعالى **﴿ يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾** [2]

---

(١) الإمام الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ١ ، ص ٢٨٩
(٢) سورة الفجر – آية ٢٧ : ٣٠



خالد بن الوليد

سيف الله المسلول

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ..
يكن أبا سليمان .. وأمه عصماء ، وهي لبانة الصغرى بنت الحارث ، أخت أم الفضل امرأة العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث ..
كان ينعم بثروة أبيه الضخمة فلم يمتهن مهنة أو يحترف حرفة في جاهليته ، فعاش منصرفا إلى المغامرات مغرما بأعمال الفروسية وركوب الخيل والسباق والصيد ..
كانت له الزعامة الحربية في قومه حتى أصبح قائد خيل قريش وفرسانها ..
حارب ضد المسلمين في بدر وأحد والخندق وأسلم في العام الثامن للهجرة ..

إسلامه

عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث قال : سمعت أبي يُحدِّث قال : قال خالد بن الوليد رضي الله عنه : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي حب الإسلام ، وحضرني رشدي وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا انصرفت وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شئ وأن محمدا سيظهر .. ودافعته قريش بالراح يوم الحديبية فقلت : أين المذهب ؟ وقلت : أخرج إلى هرقل .. ثم قلت : أخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع عجم تابعا لها مع عيب ذلك عليَّ ؟ ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة

عام القضية فتغيبت فكتب إليّ أخي : لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ومثل الإسلام جهله أحد ؟ وقد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به ، فقال : " ما مثل خالد جهل الإسلام " فاستدرك يا أخي ما فاتك ..

فلما أتاني كتابه نشطت للخروج ، وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة النبي فأرى في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلد أخضر واسع ، فقلت : إن هذه لرؤيا .. فذكرتها بعدُ لأبي بكر فقال : هو مخرجك الذي هداك الله فيه للإسلام والضيق الشرك ..

فأجمعت الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبت من أصاحب فلقيت عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد ، فأسرع الإجابة وخرجنا جميعا فأدلجنا سحرا .. فلما كنا بالهدة إذا عمرو بن العاص فقال : مرحبا بالقوم ، فقلنا : وبك .. فقال : أين مسيركم ؟ فأخبرناه .. وأخبرنا أنه يريد أيضا النبي صلى الله عليه وسلم فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ..

فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه بالنبوة فردّ على السلام بوجه طلق فأسلمت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير " وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : استغفر لي كل ما أوضعتُ فيه

من صد عن سبيل الله .. فقال : " إن الإسلام يجب ما قبله " .. ثم استغفر لي ..

وتقدم عمرو وعثمان بن طلحة فأسلما .. فوالله ما كان رسول الله من يوم أسلمت يعدل بي أحدا من أصحابه يُحز به [1]

وبعد إسلام خالد بن الوليد أصبح سيفا من سيوف الله التي سلها على المشركين .. وعاش حياة حافلة مليئة بالجهاد والعطاء لقن فيها أعداء الله دروسا لا تنسى ..

مواقف خالدة لفارس الإسلام

غزوة مؤتة

في غزوة مؤتة استشهد أمراءها الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ، فأخذ اللواء ثابت بن أقرم وجعل يصيح : يا للأنصار ، فجعل الناس يثوبون إليه .. فنظر إلى خالد بن الوليد وكان جنديا في الجيش فقال : خذ اللواء يا أبا سليمان ، فقال خالد : لا آخذه ، أنت أحق به ، لك سن ، وقد شهدت بدرا ..

فقال ثابت : خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك ، وقال ثابت للناس : اصطلحتم على خالد ؟ قالوا : نعم ..

فحمل خالد اللواء ، واستعمل عبقريته في قيادة الجيش فقلب الميسرة ميمنة والميمنة ميسرة فظن الرومان أن مددا قد جاء المسلمين ..

---

(١) الإمام ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ص ٢٤٥ وانظر ابن سعد في طبقاته (٤ / ٣ / ١) ، (٧ / ١١٩)

واستطاع خالد أن يفتح ثغرة في جيش الروم خرج منها بجيش المسلمين سالما ، فكان النصر ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله .

يقول خالد : لقد رأيتني يوم مؤتة انقطع في يدي تسعة أسياف فصبرت في يدي صفيحة يمانية .

وعن هذه الغزوة قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم " أخرجه البخاري ج٧ ص٤١٢

يوم فتح مكة (رمضان العام الثامن للهجرة)

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش إلى أربعة أقسام :

الميمنة عليها خالد بن الوليد والميسرة عليها الزبير بن العوام ..

القلب وعليه أبو عبيدة بن الجراح ، أما الطليعة فقد جعل عليها سعد بن عبادة [١]

وبعد فتح مكة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزي لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان ليهدمها ، فخرج إليها في

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، محمد رسول الحرية ، ص ٣١٦

ثلاثين فارسا من أصحابه حتى انتهوا إليها فهدموها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت شيئا ؟

قال خالد : لا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنك لم تهدمها فارجع فاهدمها فرجع خالد ، فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عارية سوداء ناشرة الرأس فجعل السادن يصيح بها فضربها خالد فجزلها باثنين .. ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : نعم .. تلك العزي ، وقد أيست أن تعبد في بلادكم أبدا ، وكانت لقريش وجميع بني كنانة ، وكانت أعظم أصنامهم ، وكانت سدنتها بني شيبان [1]

خالد وأكيْدَر دومه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر دومه وهو أكيدر بن عبد الملك ملك كندة وكان نصرانيا .. وقدم خالد باكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ..

وتعجب القوم من قباء أكيدر الذي كان من ديباج مُخَوص بالذهب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا " [2]

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٢٤٠

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣٧٠

إسلام بني الحارث بن كعب على يد خالد بن الوليد

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد سنة عشر من الهجرة إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فأقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم .. فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يدعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس اسلموا تسلموا .. فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه فأقام فيهم خالد ما شاء الله له يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ..

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خالد بن الوليد

السلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فأني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو .. أما بعد : يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا رأيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم ، وإني قدمت إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثت فيهم ركبانا قالوا : يا بني الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا أنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة

النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ..

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم : مني محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد

سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ..

أما بعد .. فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبد الله ورسوله .. وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ..

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل وفد بني الحارث ابن كعب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم قال :

" من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند " قيل يا رسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب فلما وقفوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله " ثم قال رسول الله " أنتم الذين إذا زجروا استقدموا " فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية لم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة فقال يزيد بن

عبد المدان : نعم يا رسول الله نحن الذين إذا زجروا استقدموا قالها أربع مرات .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لو أن خالدا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم "

فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا

قال صلى الله عليه وسلم : فمن حمدتم ؟

قالوا : حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله

قال صلى الله عليه وسلم : صدقتم

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية "

قالوا : لم نكن نغلب أحدا ..

قال صلى الله عليه وسلم : بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم

قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نفترق ولا نبدأ أحدا بظلم ..

قال صلى الله عليه وسلم : صدقتم

وأمرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني الحارث بن كعب قيس ابن الحصين فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية من شوال أو في صدر ذي القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة

أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحم وبارك ورضي وأنعم [1]

مع الخليفة أبو بكر الصديق

بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وتحمل أبو بكر الصديق مسئولية الخلافة تكشفت قلوب المسلمين غير المؤمنين من العرب عن دخائلها فأظهروا ما أظهروا من الردة وجعلوا يساومون في الزكاة ويقولون : نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة فقد اعتبرها البعض جزية .

فقرر أبو بكر الصديق محاربتهم على الزكاة حتى يؤدوها وقال : إنهم إن منعوه عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله فسيقاتلهم عليه .

وظهر بين العرب من يدعي النبوة ، فأعلن مسيلمة نبوته في اليمامة وجعل يهذي بكلام زعم أنه كان يوحى إليه ، وكان قد ظهر في أواخر أيام الرسول صلى الله عليه وسلم .. وفي بني أسد أعلن طليحة أنه نبي وجعل يهذي لقومه بالسجع زاعما أنه يتنزل عليه من السماء ..

ولم يواجه أبو بكر في أول عهده بالخلافة ردّة المانعين للزكاة ، وكفر التابعين لمدعي النبوة من الكذابين فحسب وإنما واجه في الوقت نفسه تأهب العرب من غير المسلمين بالشام للمكر به والكيد له والغارة عليه وقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم من قبل تحفز الروم في الشام على

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٤٢٨

حدود الجزيرة العربية وكانت له معهم خطوب ، فلم تكن مؤتة وتبوك إلا محاولة لردهم عن الجزيرة .. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جهز قبل وفاته جيشا لغزو هؤلاء وأمَّر على الجيش أسامة بن زيد بن حارثة ..

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم مرض قبل إنفاذ هذا الجيش ، ولما أحس الوفاة أوصى بإنفاذ جيش أسامة ..

وكان أول ما فعله أبو بكر بعد توليه الخلافة أنه أنفذ جيش أسامة بن زيد الذي أغار على أطراف الشام وعاد بعد شهرين وبعض شهر سالما غانما ..

خالد بن الوليد وحروبه مع المرتدين

تهيأ أبو بكر الصديق لحرب المرتدين في سائر أرض الجزيرة فخرج بالناس إلى ذي القصّة ، وهناك جند الجنود وعقد الألوية للقواد وكلف كل قائد منهم طائفة من المرتدين .. وكان أبرز قواده خالد بن الوليد الذي أمره أن يقاتل طليحة ومن معه ، فإذا فرغ منهم قصد إلى مالك ابن نويره ومن معه من بني تميم ..

وقد أوصى أبو بكر قواده بأن يمضي كل واحد منهم حتى يصل إلى القبيلة التي وُجِّه لقتالها فإذا بلغها دعاها إلى الإسلام فإن أجابت قبل منها وأعطاها ما لها من الحق وأخذ منها ما عليها من الحق أيضا وإن أبت قاتلها في غير هوادة ولا رفق حتى تفئ *إلى* الإسلام ، *فإن فاءت* فهي آمنة تأخذ ما لها وتعطي ما عليها ..

وكان أكثر قواد أبو بكر إلى طاعته خالد بن الوليد .. هزم طليحة وردّ أتباعه إلى الإسلام ..

وبعد فراغه من طليحة وأتباعه عمد إلى مالك بن نويرة وقومه من بني يربوع وكانوا قد وقفوا موقف المتربص وأبطئوا بصدقاتهم ، وجعلوا ينتظرون على من تدور الدائرة ، فلما انتصر خالد على طليحة وأصحابه عرف مالك أنه لا قبل له بحرب المسلمين فأمر قومه أن يتفرقوا وألا يستعدوا لحرب وأقبل خالد على ديارهم فلم يجد أمامه جيشا يقاتله ، ولم ير جمعا يتهيأ للقائه ، فأقام وبث السرايا ، وأمرهم بأمر أبي بكر وهو أن يؤذنوا فإن أذن القوم فلا يقاتلوهم حتى يسألوهم عما يعرفون من الإسلام .

وجاءه بعض السرايا بجماعة من بني يَرْبُوع فيهم مالك بن نويره ، وهو رئيس القوم .. واختلفت السرية التي جاءت بهؤلاء النفر فشهد بعضها بأن القوم أذّنوا وشهد بعضها الآخر بأنهم لم يؤذنوا ، ثم يزعم المؤرخون أن خالدا أمر بحبس هؤلاء النفر ، وكان ذلك في ليلة شديدة البرد ، يزداد بردها شدة كلما تقدم الليل ، فزعم رواه أن خالدا أمر مناديا أن ينادي في الناس أن أدفئوا أسراكم ، ففهم من كان عندهم هؤلاء النفر أن هذا أمر بقتلهم ، وكان الإدفاء في لغة كنانة معناه القتل فقتلوا مالكا وأصحابه ، وسمع خالد الصياح فلما أُخْبر قال : إذا أراد الله أمرا أصابه ..

وزعم رواة آخرون أن خالد كان يفاوض مالكا ، فقال له مالك في بعض حديثه : إن صاحبكم كان يقول كذا وكذا ، يريد النبي صلى الله عليه وسلم

قال خالد حين سمع من مالك هذه المقالة : أو ليس هو لك بصاحب ؟ ثم أمر بقتله ..

والشئ الذي ليس فيه شك هو أن خالد قتل مالكا ..

وكلم عمر بن الخطاب الخليفة أبو بكر الصديق في قتل مالك وقال له : إن في سيف خالد رهقا فأعزله ..

فقال أبو بكر : اجتهد فأخطأ ، ولما ألح عليه عمر في عزل خالد قال : إليك عني يا عمر ما كنت لأشيم (أغمد) سيفا سله الله على الكافرين [1] لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " نِعْمَ عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين " ..

ثم أرسل أبو بكر إلى خالد يستدعيه ويوجهه إلى اليمامة لقتال مسيلمة

معركة اليمامة

التقى خالد بمسيلمة وأصحابه ، واشتد القتال ، وبلغ من الشدة ما لم يعرف العرب في حروب الردة مثله ، وجال المسلمون جولة وتبعهم أصحاب مسيلمة حتى دخلوا فسطاط خالد .. ثم تنادى المسلمون في

---

(١) د . طه حسين ، الشيخان ، ص ٦٩

أثناء ذلك فكروا على القوم واشتد القتال بينهما مرة أخرى حتى انتصر المسلمون والتجأ مسيلمة وأصحابه إلى حديقة سماها المؤرخون بحديقة الموت ، فتبعهم المسلمون حتى اقتحموا عليهم الحديقة بعد خطوب وقتل في الحديقة مسيلمة الكذاب

- - -

كان أبو بكر معجبا بقوة خالد وبأسه وحسن بلائه وبراعته الرائعة في الحرب وكان خالد يُصدق ظن أبي بكر به في كل موطن من مواطن الشدة والبأس فهو قد فضَّ جمع طليحة وردَّ من بقي من بني حنيفة إلى الإسلام ، وأبلى في هذين الموطنين أعظم بلاء أبلاه أحد من قواد أبي بكر في حرب الردة ، ولولا أن أبا بكر كان يُكفكفه (يمنعه ويدفعه) عن القتال لتعجل بعض المواقع .. ومن يدري لعله كان يسبق سعد بن أبي وقاص إلى فتح المدائن عاصمة الفرس ..

ولكن أبا بكر كان يعرف حدّته وكان يؤثر الأناة فكان يشدّد على خالد ويضطره إلى الوقوف حين كان المضي في الحرب أحب شئ إليه لو ملك أمره ..

خالد بن الوليد وحروبه مع الفرس

فكر الخليفة أبو بكر الصديق في غزو الفرس والروم ، وبدأ بإعداد جيش يغزو العراق ، وجعل على رأسه خالد بن الوليد الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله المسلول ..

ومضى الجيش إلى العراق بقيادة خالد بن الوليد ليخلص الناس من غاشية حكم الفرس وينشر دين الله ..

ولم يبدأ خالد بالقتال وإنما عمل بوصية أبو بكر فأرسل إلى هرمز قائد الفرس ..

أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وإقرار الجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما يحبون الحياة ..

واختار الفرس الحرب .. وبدأت المعركة فحمل خالد وجنوده على الفرس ، ورأى هرمز أن الذعر قد أصاب رجاله المترفين فأخذ بعضهم يتقهقر في اضطراب ، بل حاول بعضهم الفرار ، فوضع هرمز السلاسل في أرجلهم كي لا يفروا .. وقتل خالد هرمز وانتصر المسلمون إنتصارا ساحقا وغنموا مغانم عظيمة ..

وقاد خالد جيوش المسلمين من نصر إلى نصر ..

وزحف خالد بجيشه إلى الحيرة عاصمة الفرس بالعراق وحاصرها فصالح أهلها على الجزية .. واتخذ الحيرة قاعدة للجيش الإسلامي ..

وكان بلاء خالد في العراق يدفع إلى العُجب والتيه فقد استطاع أن يقهر العراق وأن يقهر من جاء من جموع الفرس لاسترداد العراق وردهم إلى بلادهم ..

واستطاع خالد أن يستخلص العراق من الفرس ، وكان يود لو أذن له أبو بكر في مهاجمة الفرس في عقر دارهم .. ولكن أبا بكر لم يأذن له إيثارا للأناة ..

فكان خالد يضيق بمقامه في العراق على غير حرب ، وكان يود لو أنه مضى في غزو الفرس حتى ينزل المدائن عاصمة ملكهم .. ولكن .. أمره أبو بكر الصديق بالسير إلى الشام بنصف الجيش مددا لأبي عبيدة ابن الجراح ويترك النصف الآخر بالعراق تحت إمرة المثنى بن حارثه ويذكر الرواة أن أبا بكر قال : والله لأنسِينّ الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد .. فقد كان أبو بكر يعرف من خالد الإقدام ، وكان واثقا بنصر الله للمسلمين إن قاتلوا عدوهم كما كانوا يقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم .

خالد بن الوليد وحروبه في الشام

وصل خالد بن الوليد ومن معه إلى الشام فانضموا إلى جيوش المسلمين وحققت جيوش المسلمين في الشام انتصارات رائعة بقيادة خالد بن الوليد أذهلت الناس ..

وكانت سمعة خالد تسبقه فيفر من أمامه الأعداء .. وقد سبقه إلى الشام ما صنعه في العراق ..

وهكذا كان بعض الروم في الشام ينهزمون من خالد قبل اللقاء .. فقط من سمعته ..

رَوى رجل من صناديد حرّان في سوريا فقال : إنا لأكثر من خالد وأصحابه بعشرة أضعافهم فما هو إلا أن دنونا منهم فثاروا في وجوهنا بالسيوف كأنهم الأشد فانهزمنا أقبح هزيمة وقتلونا شر مقتلة ، فما عدنا نخرج إليهم حتى صالحناهم ، ولقد رأيت رجلا منا كنا نعده بألف ،

قال: لئن رأيت القوم لأقتلن أميرهم ، فلما رأى خالد قيل له : هذا خالد أمير القوم فحمل عليه ، وإنا لنرجوا أن يقتل خالدا .. فما هو إلا أن دنا منه فضرب خالد فرسه فأقدمه عليه ثم استعرض وجهه بالسيف فأطار رأسه ، ودخلنا مدينتنا فما كان لنا منهم إلا الصلح حتى صالحناهم [1]

في خلافة عمر بن الخطاب

توفي أبو بكر الصديق في جمادي الآخرة من العام الثالث عشر هجرية وكان قد استخلف عمر بن الخطاب ..

وأرسل عمر بن الخطاب إلى جيوش المسلمين ينبئها بوفاة أبي بكر واستخلافه وبعزل خالد بن الوليد من إمارة الجيوش وجعل هذه الإمارة لأبي عبيدة بن الجراح ..

ويقول الرواة أن رسول عمر بلغ المعسكر ليلة الموقعة (اليرموك) وأنبأ أبا عبيدة بمهمته فاستكتمه أبو عبيدة الخبر وكتمه هو حتى لا يفت من أعضاد الجيش ولم ينبئ خالد بعزله ، ولم يعلم خالد بهذا العزل إلا بعد أن أنزل الله نصره على المسلمين وفتح لهم طريق دمشق ..

معركة اليرموك عام ١٣ هجرية

وقبل بدء المعركة قال ماهان قائد الروم لخالد بن الوليد :

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٧٦

قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجوع والجهد فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما وترجعون إلى بلادكم ، وفي العام القادم أبعث إليكم بمثلها .. فرد عليه خالد :

إنه لم يخرجنا من بلادنا إلا الجوع كما ذكرت ، ولكننا قوم نشرب الدماء ، وقد علمنا أن لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم فجئنا لذلك وعاد خالد إلى صفوف جيشه واستعد للقتال ..

وهنا تقدم من جيش الروم أحد فرسانهم العظام فنادى خالد بن الوليد فتقدم إليه خالد حتى تلاقى رأسا جواديهما ..

قال الفارس الروماني : يا خالد ، أصدقني ولا تكذبني ، فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا فأعطاه لك فلا تسله على قوم إلا هزمهم الله ؟!

قال خالد : لا

قال : ففيم سميت سيف الله ؟

قال خالد : إن الله بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا منه ثم إن بعضنا صدقه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت ممن كذبه وباعده ، ثم هداني الله وتابعته ..

فقال لي : " يا خالد أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين " فسميت سيف الله بذلك ، فأنا أشد المسلمين على الكافرين والمشركين ..

فقال فارس الروم : صدقت .. فأخبرني إلام تدعو ..

قال خالد : إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب

قال : فما منزلة الذي يحببكم ويدخل فيكم ؟

قال خالد : منزلتنا واحدة

قال : فهل له من الأجر والزخر مثلكم ؟

قال خالد : وأفضل .. لأننا اتبعنا نبينا وهو حي يخبرنا بالغيب ، ونرى معه العجائب ، وأنتم لم ترو مثلنا ، ولم تسمعوا ما سمعنا ، فمن دخل منكم في الإسلام بنية وصدق كان أفضل منا ..

فسأل الفارس الرومي خالد أن يعلمه الإسلام ، فصحبه خالد إلى خيمته وأنطقه الشهادتين ثم أمره أن يتطهر فاغتسل وصلى خالد به ركعتين ..

وحسب جيش الروم أن دخول فارسهم العظيم خيمة خالد حيلة عسكرية فشدوا على المسلمين .. وخرج إليهم خالد والفارس الرومي ورفع خالد اللواء عاليا مؤذننا بالقتال : الله أكبر .. واستعر القتال .. وقهر المسلمون الروم وانتصروا عليهم .. واستشهد الفارس الرومي في المعركة بعد إسلامه ، وما كان قد مارس من شعائر الإسلام إلا ركعتين صلاهما وراء خالد بن الوليد ..

وقتل في هذه المعركة قائد جيش الروم وهو شقيق هرقل ، فلما علم هرقل بالهزيمة رحل عن حمص وعين عليها أميرا ، كما جعل على دمشق أميرا .. [1]

ودوى انتصار المسلمون على الروم في اليرموك في أرجاء الدنيا وتزلزل له عرش قيصر في بيزنطة وإيوان كسرى في المدائن ..

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٥٥

وغداة ليلة النصر في اليرموك أبلغ أبو عبيدة بن الجراح خالدا ما أمر به عمر .. فسكت خالد طويلا ثم قال :

يرحمك الله ، ما منعك أن تعلمني الأمر حين جاءك ؟

قال أبو عبيدة : إني كرهت أن أكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، وما نرى سيصير إلى زوال وانقطاع وإنما نحن أخوان ، وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه ..

وتعاون الرجلان ولم يلق أحدهما من أخيه إلا ما يحب ، فخالد يعرف فضل أبي عبيدة ومكانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وأبو عبيدة يحسن تقدير مواهب خالد ومزاياه الحربية ..

- - -

وسار أبو عبيدة بجنده وفيهم خالد إلى دمشق وحاصروها ثم فوجئ الدمشقيون ذات ليلة بخالد بن الوليد ومعه بعض جنده وقد تسلقوا أسوار دمشق على سلالم من الحبال وأعملوا السيف في الحامية ، وكبروا فاندفع إليهم المسلمون ، واندفع خالد على رأس جيشه إلى وسط المدينة واستسلمت دمشق وأمضى أبو عبيدة الصلح معهم ..

وانطلقت قواد المسلمين تفتح شاطئ الشام حتى فتحت بيروت وحمص وقنسرين ..

- - -

ويذهب خالد إلى المدينة حزينا ليقضي ما بقي له من العمر ..

ولكن ... ما جدوى الحياة بعيدا عن الجهاد ؟ ما من شئ أحب إليه من ساحات المعارك ، وما من شئ يطربه مثل قرع الحديد على الحديد ، والأبواق العزافة ، والخيل الصاهلة ..

كان يقول دائما : ما ليلة يهدى إلي فيها عروس أنا لها محب ، أو أن أبشّر فيها بغلام أحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح فيها العدو ! فعليكم بالجهاد !

وفاضت عيناه من الدمع ..

وعندما بلغ المدينة ذهب إلى عمر بن الخطاب فقال له :

لقد شكوتك إلى المسلمين ، والله إنك في أمري غير مُجْمِل يا عمر ..

(غير مجمل أي لم تراع المجاملة والاعتدال)

فقال له الفاروق : يا خالد ، إنك علي كريم ، وإنك إلي لحبيب ، ولن يصلك مني بعد اليوم ما تكرهه ، ولن تعاتبني على شئ بعد اليوم ..

وظل عمر يؤكد للناس أنه ما نقم على خالد إلا الاستقلال خارج نظام الدولة ، وتوزيعه المال دون الرجوع إلى رأي الخليفة .. ثم إنه خاف على الناس الفتنة لبطولاته ، وهي بطولات أشعرته بالامتياز فجعل نفسه فوق النظام ..

وكتب عمر إلى الآفاق كتابا يقول فيه :

إني لم أعزل خالدا عن سخطة ، ولا عن خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخشيت أن يوكلوا إليه (أي يعتمدا عليه) فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ..

وفاته

وبعد حياة كريمة حافلة بالعطاء لقن فيها خالد بن الوليد أعداء الله تعالى دروسا لا تنسى وافته المنية ..

ولما حضرته الوفاة قال : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم ، أو طعنة برمح ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير .. فلانا مت أعين الجبناء ..

وكان ذلك في العام الحادي والعشرين من الهجرة

وجاء إلى الفاروق من ينبئه أن خالدا في سكرة الموت ..

وأنه ليتهيأ للذهاب إليه ليعوده إذ أقبل من يقول :

يا أمير المؤمنين إن نساء المدينة يبكين خالد بن الوليد .. ألا تنهاهن يا أمير المؤمنين ..؟

قال عمر : وما على نساء قريش أن يبكينه ؟! على مثله تبكي البواكي

ثم قال : وقد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق ، ليته بقي ما بقي في الحمى حجر ، كان والله سداد لنحور العدو ميمون النقية (أي مبارك النفس)

رحم الله أبا سليمان ! ما عند الله لخير مما كان فيه ..

ولقد مات فقيدا .. وعاش حميدا ..

وجاء أبو الدرداء إلى عمر فعزاه في خالد ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، دخلت على خالد في مرضه الذي مات فيه فقال لي:

يا أبا الدرداء ، لئن مات عمر لترين أمورا تنكرها !

فقلت له : وأنا والله أرى ذلك .. فقال : لقد وجدت عليه (أي غضبت منه) في نفسي في أمور لما تدبرتها في مرضي هذا ، وحضرني من الله حاضر ، عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما يفعل ، كنت قد وجدت عليه في نفسي حين بعث إلي يقاسمني مالي حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل ، فرأيته فعل ذلك بغيري من أهل السابقة ومن شهد بدرا ، وكان يغلظ علي ، وكانت غلظته على غيري نحوا من غلظته علي ، وكنت أدلّ عليه بقرابة – فأنا ابن عم أمه – فوجدته لا يبالي قريبا ، ولا لومة لائم في الله ، فذلك الذي أذهب ما كنت أجد عليه .

وفتحوا وصية خالد بعد موته فوجدوا فيها " ... وقد جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب ..." فبكى عمر أحر بكاء [1]

- - -

ويموت البطل المغوار على فراشه .. توفي خالد بن الوليد سيف الله المسلول بعد أن عاش حياة حافلة مليئة بالجهاد في سبيل الله ..

كان سدادا لنحور العدو ، مبارك النفس ، وكان أشد المسلمين على الكافرين والمشركين ، وكان المضي في الحرب أحب شئ إليه لو ملك أمره ..

كانت سمعة خالد تسبقه فيفر من أمامه الأعداء .. سبقته سمعته إلى الشام فانهزم منه الروم قبل اللقاء ..

ملك حب الجهاد قلب خالد فكان لا يستريح إلا على ظهر جواده ..

---

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٢٨١

كان لا ينام ولا يدع أحد ينام كما قال عنه الإمام الحافظ بن كثير ..
مات وما في جسده شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح .. عاش حميدا ومات فقيدا
رحم الله خالد بن الوليد الأمير الكبير قائد المجاهدين سيف الله المسلول وفارس الإسلام .. حقا فقد عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد كما قال أبو بكر الصديق ..


أبو هريرة
أحفظ من روى الحديث في دهره
الإمام الشافعي

الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هريرة الدوسي اليماني ، سيد الحفاظ الأثبات .. أسلم متأخرا وشهد خيبر ..

كان إسمه في الجاهلية عبد شمس أبو الأسود ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه أبو هريرة ..

سأله عبد الله بن رافع : لِمَ كنوك أبا هريرة ؟

قال : كنت أرعى غنما لأهلي ، فكانت لي هريرة ألعب بها فكنوني بها

حمل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا طيبا مباركا فيه .. وحدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ..

وصحب النبي صلى الله عليه وسلم أربع سنين ..

قال الذهبي : وهذا أصح .. فمن فتوح خيبر إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة أعوام وليال [1]

ومنذ بايع النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم لم يفارق رسول الله قط إلا في ساعات النوم ..

وعاش عابدا مجاهدا .. لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ..

- - -

قدم أبو هريرة المدينة في سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ..

---

(١) الحافظ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٥٩٠

قال أبو هريرة : لما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق شعرا :

يا ليلة في طولها وغنائها   علي أنها في دارة الكفر نجَّت

وقال : وأبَقَ مني غلام لي في الطريق ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعته ، فبينما أنا عنده إذا طلع الغلام فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا هريرة ، هذا غلامك "

فقلت : هو حر لوجه الله تعالى .. فأعتقته

وعن سليمان بن حبان قال : سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة يقول نشأت يتيما ، وهاجرت مسكينا ، وكنت أجيرا لبُّرة بنت غزوان بطعام بطني وعُقبة رحْلي ، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحْدُوا إذا ركبوا فزوجنيها الله عز وجل ..

فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وجعل أبا هريرة إماما [1]

لماذا أكثر أبو هريرة من رواية الحديث عن غيره

يُجيب أبو هريرة عن ذلك فيقول : إن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق ، وأن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها ، وإني كنت إمرًا معتكفا ، وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال :

---

(١) الإمام الجوزي ، صفة الصفوة ، ص ٢٦٠

" من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه ، فإنه ليس ينسى شيئا مني أبدا " .. فبسطت ثوبي أو قال : نِمرتي ، ثم حدثنا ، فقبضته إليّ ، فوالله ما نسيت شيئا سمعته منه ، وايم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشئ أبدا ..

يقول الله تعالى **﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون ﴾** [1]

- - -

دعا مروان بن الحكم أبا هريرة وطلب منه أن يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد أجلس كاتبه وراء حجاب ، وأمره أن يكتب كل ما يقول أبو هريرة .

وبعد مرور عام كامل دعاه مروان مرة أخرى ، وأخذ يستقرئه نفس الأحاديث التي كان كاتبه قد سطرها فذكرها أبو هريرة كما قالها في المرة السابقة ما نسى منها كلمة ..

وما فعل مروان ذلك إلا ليختبر قدرة أبو هريرة على الحفظ ..

دعاء النبي لأمه

عن أبي كثير السحمي قال : حدثني أبو هريرة قال : والله ما خلق الله مؤمنا يسمع بي إلا أحبني ..

قلت : وما علمك بذلك ؟

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٥٣

قال : إن أمي كانت مشركة وكنت أدعوها إلى الإسلام ، وكانت تأبى عليّ ، فدعوتها يوما ، فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي ، فأخبرته ، وسألته أن يدعو لها فقال : " اللهم اهد أم أبي هريرة "

فخرجت أعدو أبشرها ، فأتيت فإذا الباب مجاف ، وسمعت خضخضة الماء ، وسمعت حسٌ فقالت : كما أنت ، ثم فتحت ، وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده رسوله ..

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن فأخبرته ، وقلت : ادع الله أن يُحببني وأمي إلى عباده المؤمنين ..

فقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم حبب عُبَيْدَكَ هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما " ..[1]

فما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني أو يرى أمي إلا وهو يحبني ..

معاناته من الجوع

يقول أبو هريرة : نشأت يتيما وهاجرت مسكينا ..

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة ، ص ١٥٨ – ورواه الإمام أحمد ج ٢ ، ص ٢١٩

عن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول : والله إني كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإني كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوما على الطريق الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل ، ثم مر عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل .. فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال يا أبا هريرة ، فقلت : لبيك يا رسول الله

قال : إلحق فتبعته فدخل ، فاستأذنت فأذن لي فوجد قدحا فيه لبن فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقالوا : أهداه لنا فلان أو آل فلان .. فقال : أبا هرّ قلت : لبيك يا رسول الله

قال : انطلق إلى أهل الصفة

قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، ولم يأووا إلى أهل ولا مال ، إذا جاءت رسول الله هدية أصابوا منها وبعث إليهم منها ، وإذا جاءته الصدقة أرسلها إليهم ولم يصب منها ..

قال أبو هريرة : فأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي وقلت : أنا الرسول فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم فما يبقى لي من هذا اللبن ؟!

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله بد ، فانطلقت فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال صلى الله عليه وسلم : أبا هرّ ، خذ فأعطيهم ..

فأخذت القدح فجعلت أعطيهم ، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يَروَى ثم يرد القدح حتى أتيت إلى آخرهم ودفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ القدح فوضعه في يده وقد بقي فيه فضلة ، ثم رفع رأسه إليَّ وتبسم فقال : أبا هر .. فقلت : لبيك يا رسول الله

قال : بقيت أنا وأنت فقلت : صدقت يا رسول الله ..

قال : فاقعد فأشرب قال : فقعدت فشربت

ثم قال صلى الله عليه وسلم : اشرب فشربت .. فما زال يقول لي : اشرب وأشرب حتى قلت : والذي بعثك بالحق ما أجد لها فيَّ مسلكا ..

قال صلى الله عليه وسلم : ناولني القدح فرددت إليه القدح فشرب من الفضلة .. رواه البخاري ٦٤٥٢

وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله وبين حجرة عائشة فيقول الناس : إنه لمجنون ، وما بي من جنون ، ما بي إلا الجوع ..

- - -

علمه وتقواه

عن نعيم بن محرز بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح بها ..

وعن عِكرمَة أن أبا هريرة كان يسبح في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول : أسبح بقدر ذنبي ..

وعن أبي المتوكل أن أبا هريرة كانت له زنجية فرفع عليها السوط يوما فقال : لولا القصاص لأغشيتك به ، ولكني سأبيعك لمن يوفيني ثمنك إذهبي فأنت حرة لوجه الله ..

وعن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال : ما وجعُ أحب إلي من الحمى لأنها تعطي كل مفصل قسط من الوجع ، وأن الله تعالى يعطي كل مفصل قسطه من الأجر ..

وعن ابن عمر أنه قال : يا أبا هريرة : كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه .. صحيح سنن الترمذي ٣٠١٣

وكان أبو هريرة يجلس إلى حجرة عائشة فيحدث ثم يقول : يا صاحبة الحجرة ، أتنكرين مما أقول شيئا ؟ فلما قضت صلاتها لم تنكر ما رواه ، لكن قالت : لم يكن رسول الله يسرد الحديث سردكم رواه مسلم ٢٤٩٣

يقول أبو هريرة : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاءين : فأما أحدهما فبثثته في الناس ، وأما الآخر فلو بثثته يقطع هذا البلعوم أخرجه البخاري ج ١ ص ١٩٢ : ١٩٣ في العلم ..

يقول الذهبي : هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول أو الفروع أو المدح أو الذم .. أما حديث يتعلق بحل أو حرم فلا يحل كتمانه بأي وجه .. فإنه من البينات والهدى ..

وفي صحيح البخاري قول الإمام علي رضى الله عنه : حَدّثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبّون أن يُكَذّب الله ورسوله

وكذا لو بث أبو هريرة ذلك الوعاء لأوذي ، بل لقتل [1]

وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : وقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي تبين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ..

وقد كان أبو هريرة يكنى عن بعضه ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين ، وإمارة الصبيان ، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ..

واستجاب الله دعاء أبا هريرة فمات قبلها

قال عنه الإمام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره

وقال البخاري : روي عن أبي هريرة نحو ثمانمائة أو أكثر من الصحابة والتابعين وأهل العلم ..

وكان أبو هريرة وزوجته وابنته يتعاقبون قيام الليل أثلاثا ، فيقوم هو ثلث الليل وتقوم زوجته ثلثه وتقوم ابنته ثلثه ..

وهكذا يمر الليل بطوله وفي بيت أبي هريرة ذكر وتسبيح وصلاة وعبادة ..

أبو هريرة يأبى الولاية

ولاه عمر بن الخطاب ولاية البحرين فقدم المدينة ومعه مالا ادخره فسأله عمر : من أين لك هذا ؟

قال أبو هريرة : خيل نتجت ، وغلة رقيق لي ، وأعطية تتابعت ..

---

(١) الحافظ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٥٩٧

فنظر عمر فوجده كما قال : دعاه عمر بعد ذلك ليوليه فأبى ..

فقال عمر : تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيرا منك ومني : يوسف عليه السلام !!

فقال أبو هريرة : يوسف نبي بن نبي بن نبي .. وأنا أبو هريرة بن أميمة ، وأخشى ثلاثا واثنتين .. فقال عمر : فهلا قلت خمسا ..

قال أبو هريرة : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضي بغير حلم ، وأن يُضرب ظهري ، ويُنتزع مالي ، ويُشتم عرضي .. [١]

وفاته

كان أبو هريرة يخشى على نفسه من الفتنة ، وكان يدعو الله ألا تدركه سنة ستين ، فاستجاب الله لدعائه وتوفي قبلها ..

ولما حضرته الوفاة قيل له : ما يبكيك ؟

قال : ما أبكي على دنياكم هذه ، ولكن على بعد سفري ، وقلة زادي ، وإني أمسيت في صعود ومهبطة على جنة أو نار ، فلا أدري أيهما يؤخذ بي [٢] ثم قال : اللهم إني أحب لقاءك فأحبب لقائي ..

وانتقل أبو هريرة إلى جوار ربه راضيا مرضيا عن ثمان وسبعون عاما ..

- - -

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ١١٣
(٢) الحافظ أبي نعيم ، حلية الأولياء ، ج١ ، ص ٣٨٣

رحمك الله يا أبا هريرة .. الإمام الفقيه .. المجتهد .. الحافظ .. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

أحفظ من روى الحديث في دهره كما وصفك الإمام الشافعي ..

وأحفظ رواة الحديث وأنقاهم ذاكرة ..

روى عنك الحديث نحو ثمانمائة أو أكثر من الصحابة والتابعين وأهل العلم .. كما حدث بذلك الإمام البخاري ..

عشت عابدا ومجاهدا .. لم تتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ إسلامك وحتى وفاته صلى الله عليه وسلم فلم تتركه قط إلا ساعات النوم ..

كنت أحفظ الصحابة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم رواية للحديث فقد كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا إذا غابوا أحفظ إذا نسوا ..

كنت تبسط ثوبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان الرسول يفرغ من حديثه فتقبض ثوبك إليك .. ولذلك لم تنس شيئا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ..

ما خلق الله مؤمنا قط يسمع بك ولا يراك إلا أحبك بفضل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لك

نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وعانيت من الجوع حتى انك كنت تعتمد بكبدك على الأرض وتشد على بطنك حجرا من الجوع .. وكنت

تصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجرة عائشة من الجوع

كنت تسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ..

حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعائين بثثت إحداهما للناس ولم تبث الثاني حتى لا تحرك الفتنة ..

كان بيتك عامر طوال الليل بالقيام تتبعه وزوجتك وابنتك أثلاثا ..

ولما حضرتك الوفاة بكيت من بعد السفر وقلة الزاد ..

سبحان الله العظيم .. أبعد هذا الإيمان والتقوى والجهاد في سبيل الله ومرافقة الرسول صلى الله عليه وسلم وقيامك بالليل واعتراف الصحابة بعلمك وتقواك ..

أبعد كل هذا تخشى من قلة الزاد وبعد السفر ..

لقد دعوت الله قبل وفاتك أن يحب لقاءك كما أحببت لقائه ..

إنك يا سيدي مع من أحببت كما أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم فأنت مع أحباءك من الصفوة الكرام البررة ..

جعل الله الجنة مثواك يا سيدي .. وندعو الله أن يوفقنا على السير على منهجك القويم ..

سلام عليك يوم إسلامك ويوم وفاتك ..

سلام عليك في الأولين .. وسلام عليك إلى يوم الدين ..

إنه سميع عليم .. مجيب دعوة الداعين ..

آمين آمين



طلحة بن عبيد الله

شهيد يمشي على الأرض

هو طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المكي ، ولد قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بـ ١٣ عاما ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أسلم على يدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقال له ولأبي بكر القرينان .. كان حسن الوجه ومن أغنى الصحابة .

أمه الصعبة بنت الحضرمي ، أخت العلاء ، أسلمت وأسلم طلحة قديما كان في تجارة له في بصرى فأنبأه راهب بقرب ظهور النبي المنتظر في أرض الحرم ، فلما عاد إلى مكة وعلم أن النبي أوحى إليه سارع في الدخول في الإسلام بعدما علم بإسلام أبي بكر ، وقال : محمد وأبو بكر تالله لا يجتمع الاثنان على ضلالة أبدا ..

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سعيد بن زيد قبل خروجه إلى بدر يتجسسان خبر العير فمرت بهما فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فخرج ، ورجعا يريدان المدينة ، ولم يعلما بخروج النبي صلى الله عليه وسلم فقدما في اليوم الذي لاقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فخرجا يعترضان رسول الله فلقياه منصرفا من بدر فضرب لهما بسهامهما وأجرهما ، فكانا كمن شهدها ..

هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها عدا غزوة بدر ..

شهد طلحة أحدا وثبت يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقاه بيده من النبل فشلت إصبعاه .. رواه البخاري ٣٧٢٤

وكان صقر يوم أحد فقد كان أول الموجودين بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أصيب في الغزوة وبايعه على الموت حتى أصيب ببضع وسبعين ما بين ضربة وطعنة ورمية وشلت إصبعه .

وفي غزوة أحد أيضا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصعد صخرة هناك فنزل طلحة وانحنى حتى صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره فقال صلى الله عليه وسلم (أوجب طلحة) أي وجبت له الجنة [1]

سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد طلحة الخير ..

وكان أبو بكر الصديق إذا ذكر يوم أحد يقول ذلك يوم طلحة

كأني بطلحة أتيناه وهو في حفرة وبه بضع وسبعون جرحا من بين طعنة وضربة ورمية فأصلحنا من شانه [2]

وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة ذات العُشيرة طلحة الفياض ، ويوم حنين سماه طلحة الجود ..

قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة والزبير جاراي في الجنة .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٤٤

(٢) الإمام ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ج ٧، ص ١٠٣

مناقبه

- عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سَرّه أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله " صحيح سنن الترمزي ٢٩٤٠

- لما نزل قوله تعالى ﴿ **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ...** ﴾ [١]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " طلحة ممن قضى نحبه .. وممن بدلوا تبديلا " رواه الترمزي ٣٢٠٣

- وعن سُعْدَى بنت عوف زوجة طلحة قالت : دخل عليّ طلحة ورأيته مغموما فقلت له : ما شأنك ؟ فقال : المال الذي عندي قد كثر ، وقد كربني (أي أغمني) فقلت : وما عليك ؟ أقسمه ..

فقسمه حتى ما بقي منه درهم .. وكان المال أربعمائة ألف ..

عن الحسن قال : باع طلحة أرضا له بسبعمائة ألف فبات المال عنده ليلة فبات أرقا من مخافة ذلك المال .. فلما أصبح فرّقه كله .. رواه الإمام أحمد

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢٣

وفاته

قُتل يوم الجمل .. قتله مروان بن الحكم في وقعة الجمل بسهم أودى بحياته فنال الشهادة .. وكان ذلك يوم الخميس العاشر من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين هجرية .. ودفنه علي مع الزبير بن العوام

ورُوي أن الإمام علي بن أبي طالب قال : بشروا قاتل طلحة بالنار [1]

رآه رجل في منامه ثلاث مرات يقول : حولوني عن قبري فقد آذاني الماء ، فأخبر ابن عباس فذهب وحول قبره بعد أن رأى الماء ، ووجدوه لم يتغير عن هيئته يوم مات ..

- - -

رحم الله طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة ..

وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شهيد يمشي على الأرض ..

سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد (طلحة الخير)

وسماه صلى الله عليه وسلم يوم غزوة ذات العُشيرة (طلحة الفياض)

ويوم حنين سماه (طلحة الجود) ..

وقال له يوم أحد (أوجب طلحة) أي وجبت له الجنة ..

رحم الله الكريم الفياض الجود الذي وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بيده يتلقى السهام والنبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شل إصبعه ..

---

(١) الحافظ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق الأرنؤوط ، ج ١ ، ص ٣٧

ووجدوه في حفرة يوم أحد وبه بضع وسبعون جرحا

رحمك الله سيدي الشهيد الذي يمشي على الأرض ..

الذي بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة .



أنس بن مالك

صلاته أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو أنس بن مالك بن النضير بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب ابن عامر بن غنيم بن عدي ..
وأمه أم سُليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية المخزومية " الرميصاء "

- - -

أشرق نور الحبيب المصطفى على المدينة فأضاء منها كل شئ ، وخرجت الرميصاء مع ولدها البالغ من العمر عشر سنين لتلقى الحبيب وما أن رأته حتى قالت له : يا رسول الله ليس عندي ما أهديه لك إلا ولدي هذا أنس فخذه ليخدمك ما شئت .. فرحب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح على رأسه بيده الشريفة وضمه لأهله ودعا له قائلا :
" اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره " رواه البخاري ٦٣٣٤
وكان من نتيجة هذه الدعوة المباركة لأنس أن أتاه الله الخير الكثير فعاش حتى أكمل المائة عام أو يزيد .. ورزقه الله من البنين والحفدة الكثير ، فقد رُوي عن أنس أنه قال : دفنت من صلبي مائة غير اثنتين أو قال مائة واثنتين .. وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة ..
وخدم أنس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقرب من عشر سنين فما قال له لشيء صنعه لما صنعت أو بئس ما صنعت ..
يقول أنس : أرسلني النبي لحاجة له فخرجت ووجدت صبيانا يلعبون في السوق فلعبت معهم ، ولم أذهب إلى ما أمرني به الرسول صلى الله

عليه وسلم وإذا بي أشعر بإنسان يقف خلفي ويأخذ بثوبي فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي : يا أنس أذهبت حيث أمرتك فارتبكت وقلت نعم سأذهب الآن يا رسول الله ..

وبعثه رسول الله إلى حاجة فأبطأ على أمه ، فلما رجع إليها قالت له : ما حسبك ؟ فقال لها : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ..

قالت : ما حاجته ..

قال : إنها سر

ففرحت أمه وقالت له : لا تحدثن بسر رسول الله أحدا [1]

صلاته أشبه بصلاة رسول الله

قال أبو هريرة : ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم يعني أنس بن مالك ..

وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال : كان أنس يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دماً ..

وعن معتمر بن سليمان قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما بقي أحد صلى القبلتين غيري ..

مناقبه

عن ثابت البُناني قال : شكا قُيِّم لأنس بن مالك في أرضه العطش .. فصلى أنس ودعا .. فثارت سحابة حتى غشيت أرضه ثم ملأت

---

(١) صحيح مسلم ج ٥ ص ٣٤٩

صهريجه ، فأرسل غلامه فقال : انظر أين بلغت هذه ؟ فنظر فإذا هي لم تَعْدُ أرضه ..

وعن ثابت قال : كان أنس إذا أشفى على ختم القرآن من الليل بقي منه سورة حتى يختمه عند عياله ..

وعنه قال : كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم ..

وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال : كان لأنس ثوبان على المشجب كل يوم ، فإذا صلى المغرب لبسهما فلم نقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائما يصلي ..

روايته للحديث

كان أنس بن مالك أعلم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنته روى خالد بن قيس عن قتادة أنه قال : لما مات أنس بن مالك قال مورق : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل : كيف ذلك ؟

قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا : تعال إلى من سمعه من رسول الله ، فهو من المكثرين من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرج له أصحاب السنن ٢٢٨٦ (ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين) رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وعن أبي بكر الصديق وعن عمر بن الخطاب وعن عثمان بن عفان وعن عبد الله بن رواحة وعن فاطمة الزهراء وعن أبي ذر الغفاري

وعن أبي بن كعب وعن معاذ بن جبل وعن عبادة بن الصامت وعن أمه أم سليم وخالته أم حرام وأم الفضل امرأة العباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم [1]

وعن شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة ، عُرْى في عنقه السيف وهو يقول لمَ تراعوا ، لمَ تراعوا .. قالوا : وجدناه بحرا أو أنه لبحر وكان فرسا يُبَطأ [2]

وعن فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلو قدره قال أنس :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أول الناس خروجا إذا بُعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا ، لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر " [3]

وروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) د . محمود عوض سلامة ، تاريخ الفقه الإسلامي ، ص ٢١١ ، دار النهضة العربية ٢٠٠٣

(٢) رواه البخاري ٣٠٤٠ ، ٦٠٣٣ ومسلم (الفضائل / ٤٨) باب في شجاعة النبي وتقدمه للعرب

(٣) رواه الترمزي ٣٦١٠

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين" [1]

وفاته

توفي أنس بن مالك رضي الله عنه سنة ٩٣ (ثلاث وتسعين) من الهجرة عن مائة وثلاث سنين ، وهو آخر من مات من الصحابة – رضي الله عنهم – بالبصرة [2]

---

(١) رواه البخاري ١٥

(٢) الشيخ إبراهيم الشهاوي ، مصطلح الحديث ، ص ١٨٣



أبو ثعلبة الخشني

مات وهو ساجد

هو ثعلبة الخشني صحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الدار قطني : هو من أهل بيعة الرضوان ، وأسهم له النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر ، وأرسله إلى قومه ، وأخوه عمرو بن جرهم أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم [1]

- - -

جلس أبو ثعلبة وكعب يتحدثان :

قال أبو ثعلبة : يا أبا اسحاق ، ما من عبد تفرغ لعبادة الله إلا كفاه الله مؤونة الدنيا ..

قال كعب : فإن في كتاب الله المنزل : من جعل الهموم هما واحدا ، فجعله في طاعة الله ، كفاه الله ما همّه ، وضمن السماوات والأرض ، فكان رزقه على الله وعمله لنفسه .. ومن فرّق همومه ، فجعل في كل وادٍ همًا ، لم يبال الله في أيها هلك ..

قال الإمام الذهبي معلقا :

من التفرغ للعبادة السعيُ في السبب ، ولا سيما لمن له عيال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن أفضل ما أكل الرجل من كَسْب يمينه أما من يعجزُ عن السبب لضعف أو لقلة حيلة ، فقد جعل الله له حظا في الزكاة [2]

(١) الإمام ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٧ ، ص ٢٧٦
(٢) الحافظ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٥٧٠

وفاته

كان أبو ثعلبة يقول : إني لأرجو ألا يخنقني الله كما أراكم تُخنقون

وكانت أمنية حياته أن يلقى ربه وهو ساجد ..

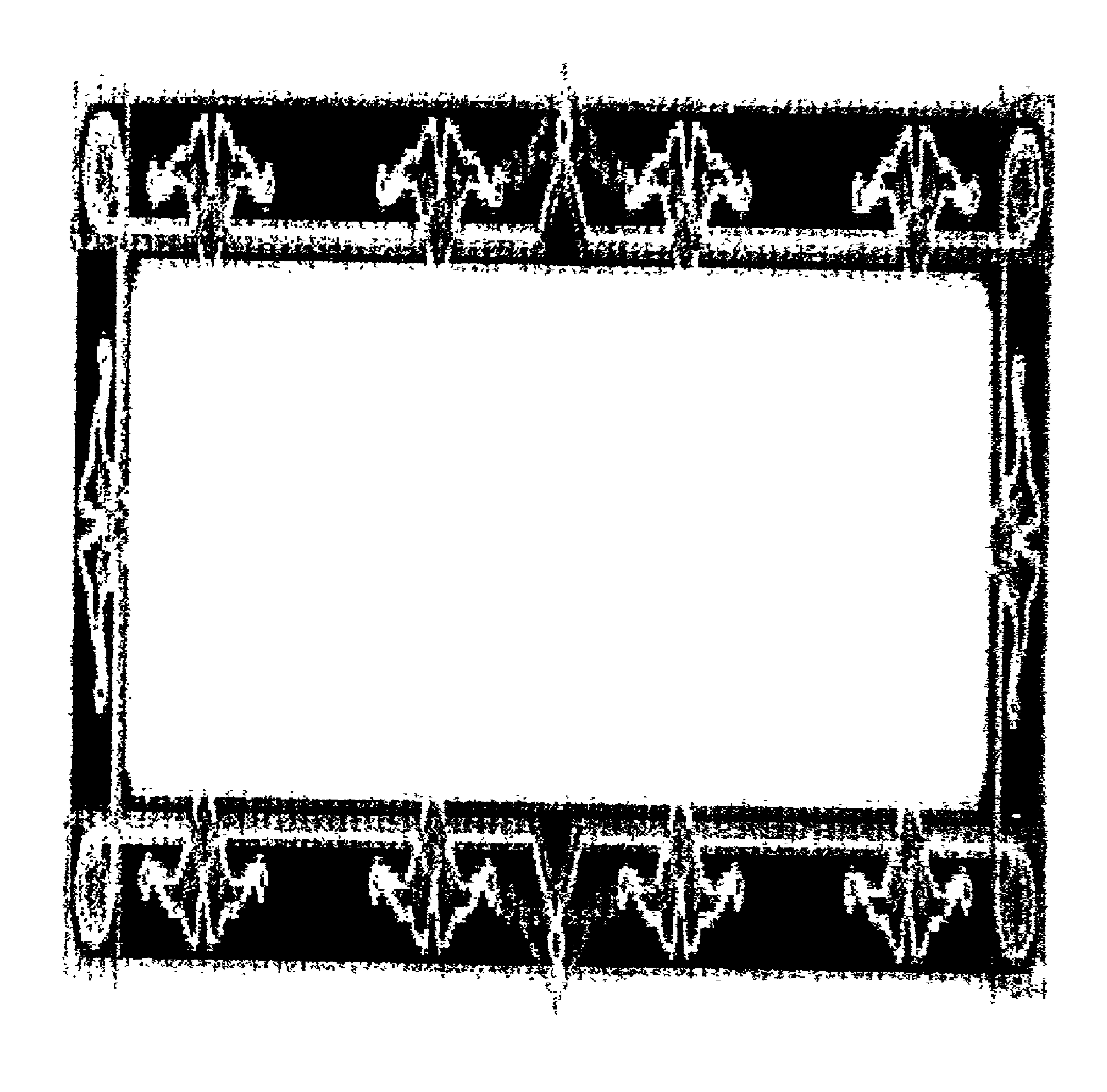
وبينما هو يصلي في جوف الليل .. قُبض وهو ساجد

وكان ذلك سنة خمس وسبعين من الهجرة ..

- - -

رحم الله أبو ثعلبة الصحابي الجليل المؤمن الذي حقق الله أمنيته عند الممات فمات وهو ساجد في جوف الليل ..

رضي الله عنه ووفقنا الله لإتباعه وحشرنا في زمرته ..





عبد الله بن حذافة

تمنى أن يقتل في سبيل الله

بعدد شعر رأسه

هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي .. أحد السابقين ..

سارع إلى اعتناق الإسلام والمسلمون يومئذ قلة تكابد من أذى قريش وتعاني من اضطهاد المشركين .. وبعد إسلامه هاجر إلى الحبشة فرارا بدينه وعقيدته ..

وقد اجتمعت في عبد الله بن حذافة السهمي خصال لم تجتمع في صحابي آخر .. فهو ذو عزيمة ثابتة لا تعرف الكلل ونفس طامحة تتأبى على الخمول ، واستماتة في سبيل إعلاء كلمة الله حتى ولو مزق إربا ..

الرسول يرسل عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ملك الفرس

اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ليذهب بكتابه إلى كسرى عاهل الفرس وكان ذلك في شهر ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة ..

ولما قدم عبد الله إلى كسرى وناوله الكتاب طلب رجلا من بطانته ليقرأه عليه .. فلما قرأ العبارة الأولى : من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس .. غضب غضبا شديدا ومزق الكتاب من قبل أن يعلم ما فيه ..

فلما بلغ الرسول ما فعله كسرى دعا عليه وعلى الفرس أن يُمزقوا كل ممزق [1]

(١) رواه البخاري ٨ / ٩٦

ولم يمض ثلاثون عاما حتى كان المسلمون قد استولوا على أرض فارس كلها وانتهى بذلك ملك الأكاسرة إلى الأبد ..

عبد الله بن حذافة أسيرا عند ملك الروم

في العام التاسع عشر من الهجرة ذهب عبد الله بن حذافة مع الجيش الذي بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام لمحاربة الروم .. ويشاء حظه العاثر أن يقع أسيرا في يد الروم .. وجئ بهم إلى ملكهم .. وقيل للملك إن هذا من أصحاب محمد .. فقال له الملك : هل لك أن تترك دينك وأشركك في ملكي وسلطاني ؟

فقال عبد الله بن حذافة : لو أعطيتني كل ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن ديني ما فعلت ..

قال الملك : إذن أقتلك

قال عبد الله : أنت وذاك

عندئذ أمر الملك أن يصلب عبد الله بن حذافة .. فصُلب ..

وقال الملك للرماة : ارموه قريبا من بدنه ، وفي أثناء عملية الرمي كان الملك يعرض عليه أن يترك الإسلام وهو يأبى .. فأمر الملك بإنزاله وإحضار قدر ممتلئة بالماء المغلي وإلقاء أحد الأسرى فيها إذا رفض الرجوع عن الإسلام ..

وبكى عبد الله فظن الملك أنه يبكي خوفا من الموت ..

فقال له الملك : ما أبكاك ..

قال : هي نفسي واحدة تُلقى الساعة فتذهب .. وكنت أرجو أن يكون لي بعدد شعري أنفس تلقى في النار حتى يتكرر موتي في سبيل الله بعدد هذه الشعرات ..

وعندئذ أسقط في يد ملك الروم ولم يجد جدوى من موت عبد الله بن حذافة فقال له : هل لك أن تقبل رأسي وأخلي سبيلك ؟

فقال عبد الله : لا مانع عندي أن أقبل رأسك بشرط أن تخلي سبيل جميع الأسرى من المسلمين ..

ووافق الملك .. فقبل عبد الله رأسه .. وأطلق الملك سراح الأسرى وعادوا إلى المدينة ..

ولما عاد الأسرى إلى المدينة قال عمر بن الخطاب :

حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ .. فقبل رأسه ..

وفاته

توفي عبد الله بن حذافة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما ..

- - -

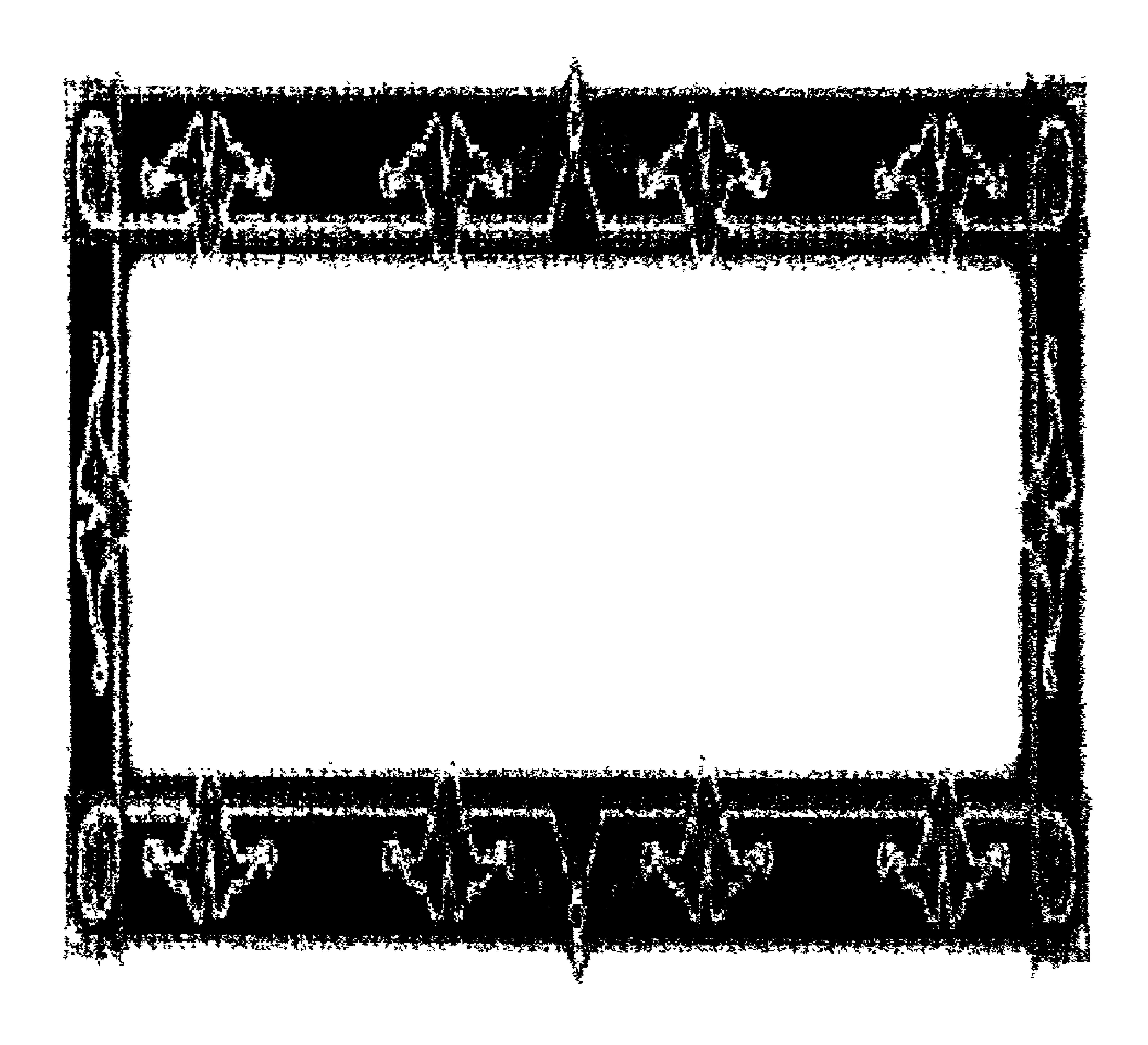
رحم الله عبد الله بن حذافة الصحابي الجليل الذي اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في صحابي آخر .. فهو المؤمن الصادق الحق الذي لا يثنيه عن إيمانه شئ حتى لو مزق إربا ..

صلبوه ورموه ثم جاءوا بقدر ملئ بالماء المغلي يهددون بإلقائه فيه إذا لم يعدل عن إسلامه فيأبى .. بل ويبكي لأن له نفسا واحدة ستموت ..

وكان يرجو أن تكون له أنفسا بعدد شعر رأسه يموت بها في سبيل الله تحديت قاتليك يا سيدي فعلموا أنك أقوى منهم وأقوى من تهديداتهم فلم يملكوا إلا الرضوخ لك والإفراج عنك وهم صاغرون ..

وكم كانت سعادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعودتك والصحابة الكرام إلى المدينة .. فكان أن قبل رأسك وأمر أصحابه أن يفعلوا ما فعل ..

رحمك الله سيدي وأسكنك فسيح جناته مع الشهداء البررة الكرام الذين قضوا نحبهم .. وما بدلوا تبديلا .





البراء بن مالك

قتل مائة من الشجعان مبارزة

هو البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم أخو أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد أحدا وبايع تحت الشجرة ، وأمه أم سليم الرميصاء ..

وقد اشتهر أن البراء قتل في حروبه مائة نفس من الشجعان مبارزة [1]

قال ابن سيرين : كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش :

" لا تستعملوا البراء على جيش ، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم " [2]

فقد كانت قيادته للمقاتلين مخاطرة كبيرة تشبه الهلاك ..

ومن مناقبه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك " [3]

مواقف بطولية للبراء بن مالك

معركة اليمامة

في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ارتد من الناس وأطلت الفتنة برأسها ، وتحركت كالسيل الجارف تريد محو معالم هذا الدين المبارك ، فانتفض أبو بكر وعقد الألوية واستعان بربه الواحد الأحد ، فأخمد الفتن ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، وكانت معركة اليمامة التي دارت رحاها بين المسلمين وجيش مسيلمة الكذاب من

---

(١) الحافظ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ١٩٦
(٢) الإمام ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، مج ١ ، ص ٢٣٥
(٣) أخرجه الترمزي ٣٨٥٣ وقال حديث حسن صحيح

أقوى المعارك التي دارت بين جند الرحمن وجند الشيطان .. وفي هذه المعركة سطر البراء بن مالك أروع المواقف في حياة أمته ..

عن أنس بن مالك قال : إن خالد بن الوليد قال للبراء رضي الله عنهما يوم اليمامة قم يا براء ..

قال : فركب البراء فرسه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل المدينة ، لا مدينة لكم اليوم ، وإنما هو الله وحده والجنة ، ثم حمل وحمل الناس معه ، فانهزم أهل اليمامة فلقي البراء محكم اليمامة (قائد جيش مسيلمة الكذاب) فضربه البراء وصرعه ، وأخذ سيف محكم اليمامة فضرب حتى انقطع ..

يقول البراء رضي الله عنه : لقيت يوم اليمامة رجلا يقال له : حمار اليمامة ، رجلا جسيما بيده سيف أبيض ، فضربت رجليه فكأنما أخطأته وانقعر – أي قطع من أسفله – فوقع على ظهره فأخذت سيفه وأغمدت سيفي فما ضربت به ضربة حتى انقطع ..

وعن إسحاق قال : زحف المسلمون إلى المشركين حتى ألجئوهم إلى حديقة سماها المؤرخون " حديقة الموت " وفيها عدو الله مسيلمة فقال البراء :

يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم ، فاحتُمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها ودخل عليهم المسلمون فقتلوهم شر قتلة .. وقُتل في الحديقة مسيلمة الكذاب ..

وانتهت المعركة بانتصار ساحق للمسلمين .. ورغم جهاد البراء وتعرضه للمخاطر لينال شرف الشهادة إلا أنه لم يظفر بها في هذه المعركة وإنما تمزق جسده بالسيوف .. ومع هذا فلقد كان على يقين بأن الله لن يحرمه شرف الاستشهاد في سبيله [1]

موقعة تستر

وتمر الأيام .. ويدور قتال عنيف بين المسلمين والفرس في موقعة تستر ولما اشتد القتال وبلغت القلوب الحناجر قالوا له :

يا براء إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على الله "

فقال : أقسمت عليك يا ربي لما منحتنا أكتافهم فمنحوا أكتافهم ثم التقوا على قنطرة السّوس فأوجعوا في المسلمين ..

فقالوا : أقسم يا براء على ربك

فقال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم والحقتي بنبيك صلى الله عليه وسلم فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا ..

وفي رواية لخرى : لما كان يوم تُستَر انكشف المسلمون فقال البراء : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقني بنبيك فاستشهد [2]

- - -

(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ١٣٢
(٢) الإمام ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ص ٢٣٦

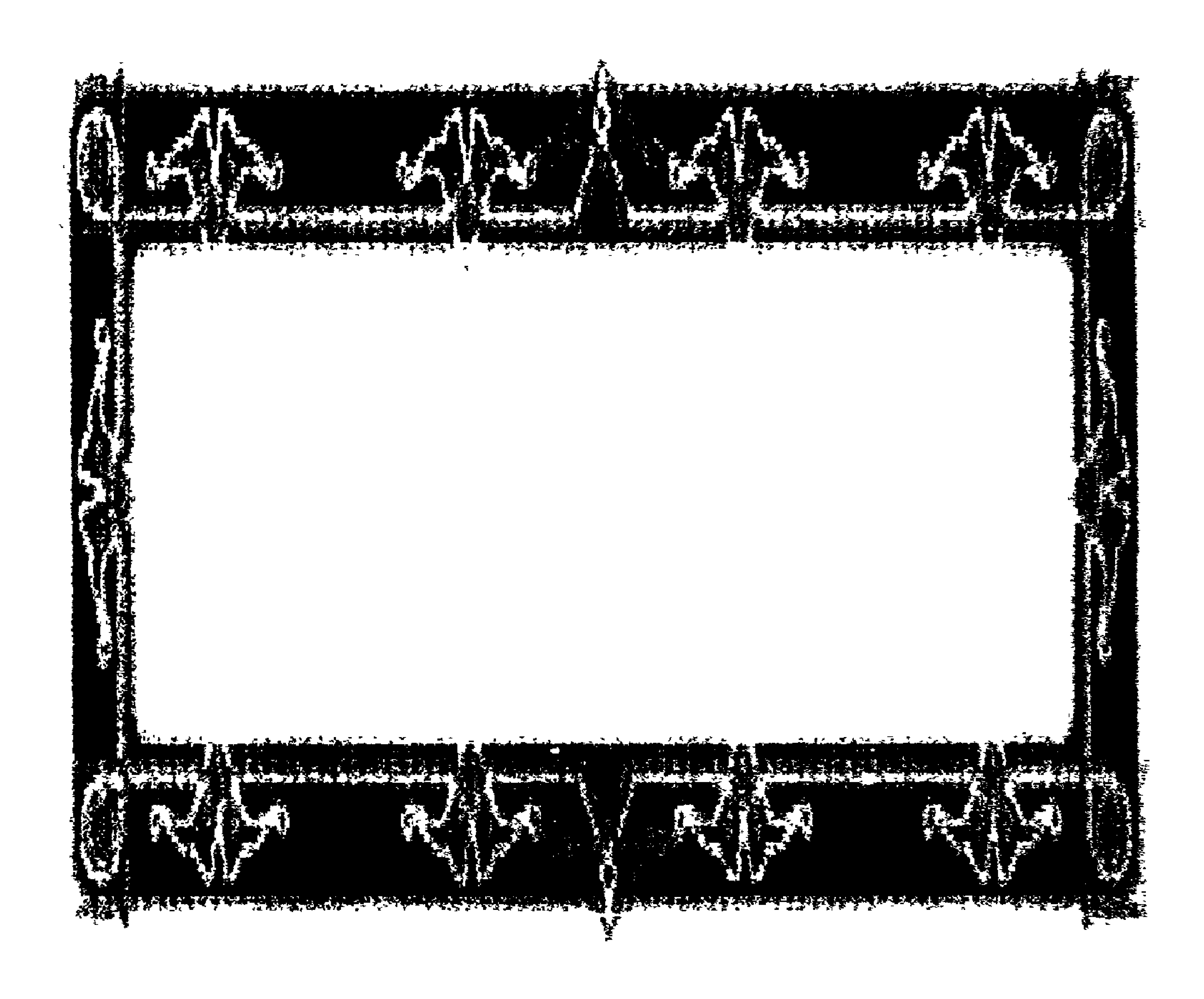
وفـي سـاحة الشـرف علـى أرض المعـركة سـقط الـبراء شـهيدا وروى الأرض بدمائـه الطاهـرة الزكـية يفـوح عبـيرها مسـكا وعنـبرا .. ونـال المشـتاق مـا تمـناه مـن الشـهادة فـي سـبيل الله علـى أرض المعـركة .. وظهـرت آثـار السـعادة علـى محـياه .. وكـان وجهـه أشـبه بالقمـر لـيلة اكتماله ..

وصدق الله العظيم **﴿ من المؤمنين رجـال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾**[1]

صدق الله العظيم

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢٣





حارثة بن النعمان بن نفيع الأنصاري

يرتل القرآن في الجنة

هو أنصاري خزرجي .. كان يكنى أبا عبد الله ..

شهد بدرا والمشاهد كلها .. وكان خيرا بارّ بأمه ..

مناقبه

قال حارثة : رأيت جبريل مرتين : حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة مرّ بنا وأمرنا بلبس السلاح .. ويوم موضع الجنائز حين رجعنا من حنين مررت وهو يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فلم أسلم ؟ .. فقال جبريل : من هذا يا محمد ؟ قال صلى الله عليه وسلم : حارثة بن النعمان فقال جبريل : لو سلم لرددنا عليه [1]

عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة – قراءة القرآن – قلت من هذا ؟ قالوا : حارثة بن النعمان . فقال صلى الله عليه وسلم كذاك البرّ " وكان أبر الناس بأمه [2]

عن محمد بن عثمان عن أبيه أن حارثة بن النعمان كان قد كف بصره فجعل خيطا من مصلاة إلى باب حجرته ، ووضع عنده مكتلا فيه تمر وغير ذلك فكان إذا سلّم للمسكين أخذ من ذلك التمر ثم أخذ على ذلك الخيط حتى يأخذ إلى باب الحجرة فيناوله المسكين .. فكان أهله يقولون نحن نكفيك فيقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن مناولة المسكين تقي ميتة السوء " [3]

---

(١) الإمام ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، مج ١ ، ص ١٧٥

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، ٦ / ١٥٢

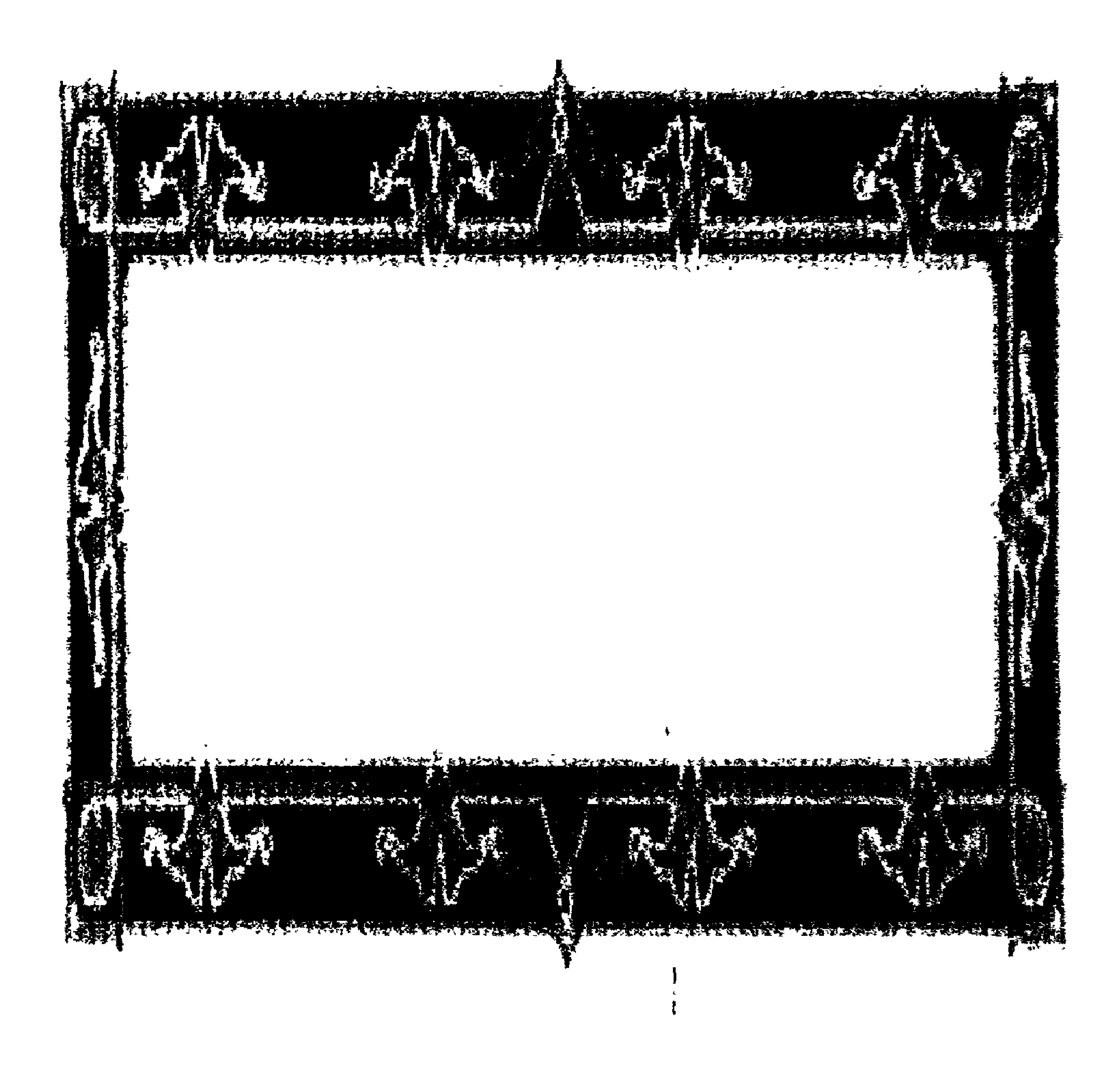
(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٣ / ٥٢

وفاته

توفي رضي الله عنه في خلافة معاوية

- - -

رحم الله الصحابي الجليل حارثة بن النعمان الذي سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن في الجنة .. وهذه منقبة عظيمة وكرامة ظاهرة لهذا الصحابي الجليل المبارك رضي الله عنه وأسكنه فسيح جناته .




معاذ بن جبل
إمام العلماء يوم القيامة

إنه السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري وكان رضي الله عنه طويلا حسنا جميلا ..

أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة .. وشهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

عن أبي مسلم الخولاني قال : أتيت مسجد دمشق فإذا حلقة فيها كهول من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإذا شاب فيهم أكحل العين براق الثنايا .. كلما اختلفوا في شئ ردوه إلى الفتى .. قال : قلت لجليس لي : من هذا ؟؟ قال : هذا معاذ بن جبل ..

وعن أبي بحرية قال : دخلت مسجد حمص فإذا أنا بفتى حوله الناس جعد قططٍ فإذا تكلم كأنما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقلت : من هذا ؟ قالوا : معاذ بن جبل [1]

فضائله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأبيّ ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبو حذيفة " رواه البخاري ومسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأصدقها حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ وأفرَضُهم زيد ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة " [2]

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٣٠
(٢) رواه أحمد ٣ / ١٨٤ والترمزي ٣٧٩٣

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل معاذ بن جبل "[1]

وعن معاذ قال : لقيني النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " يا معاذ إني لأحبك في الله .. قلت : وأنا والله يا رسول الله أحبك في الله ، قال صلى الله عليه وسلم : أفلا أعلمك كلمات تقولهن دبر كل صلاة !

" رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك "[2]

وعن أبي الأحوص قال : بينما عبد الله بن مسعود يحدثهم إذ قال : إن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين

وقال ابن مسعود رضي الله عنه عن معاذ : كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام[3]

تعبده واجتهاده

عن ثور بن يزيد قال : كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال : اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم ، اللهم طلبي للجنة بطئ ، وهربي من النار ضعيف ، اللهم اجعل لي عندك هدى ترده إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ..

---

(١) أخرجه الترمزي ٣٧٩٧ في المناقب
(٢) أخرجه أبو داود ١٥٢٢ في الصلاة ، باب الاستغفار
(٣) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ٢٠٥

ورعه

قال يحي بن سعيد : كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان فإذا كان عند إحداهما فلا يشرب في بيت الأخرى الماء ، ولا يتوضأ في بيت الأخرى ثم توفيتا في السقم الذي بالشام ، والناس في شغل ، فدفنتا في حفرة فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر ..[1]

وعن زهده

رُوي عن مالك الداري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام : اذهب بها إلى أبي عبيدة ابن الجراح ثم تلّه ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع ..

فذهب الغلام .. قال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك .. قال : وصله الله ورحمه .. ثم قال : تعالى يا جارية : اذهبي بهذه إلى فلان ، وبهذه إلى فلان ، وبهذه إلى فلان حتى أنفذها ..

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال : اذهب بها إلى معاذ بن جبل ، وتله في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فذهب بها إليه وقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك فقال : رحمه الله ووصله .. تعالي يا جارية : اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا .. فاطلعت امرأته فقالت : ونحن والله مساكين فأعطنا ، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فأعطاها إياهما .

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٣١

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك .. فقال عمر : إنهم اخوة بعضهم من بعض [1]

ثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاذ

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل " رواه الإمام أحمد

وحين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن زوده بتوجيهات ونصائح منها :

يا معاذ ، إنك تقدم على قوم يتعبدون في الصوامع ، ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم استجابوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة وصدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ..

ومن هذه التوجيهات أيضا تلك الوصية الجامعة التي جعلها العلماء دليلا على اعتبار القياس والاجتهاد أصلا من أصول التشريع في الإسلام .. وذلك حيث قال صلى الله عليه وسلم :

يا معاذ ، بماذا تحكم إذا عرض لك أمر ؟

قال : أعرضه على كتاب الله فإن وجدته أخذت به ..

قال صلى الله عليه وسلم : فإن لم تجد في كتاب الله ؟

قال : أعرضه على سنة رسول الله

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٣٧

قال صلى الله عليه وسلم : فإن لم تجد في السنة ؟

قال : أجتهد في رأي ..

فسر النبي صلى الله عليه وسلم من إجابة معاذ وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله ..

وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم معاذ لهذه المهمة لما كان يأنسه فيه من تفان وتضحية وحرص على الاستفادة من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الطاقة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه : أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ..

فقد كان من الصفوة المباركة من الصحابة رضوان الله عليهم

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من توجيه معاذ قال له : يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري .. فبكى معاذ خشعا لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال :

" إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا " رواه أحمد

- - -

ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن .. وعاد معاذ إلى المدينة في خلافة أبي بكر ..

وكان عمر بن الخطاب يستشيره كثيرا وكان يقول :

لولا معاذ بن جبل لهلك عمر .. وقال : من أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل ..

وتوفي معاذ في حياة عمر بن الخطاب

وقال عمر قبل وفاته :

لو كان معاذ بن جبل حيا ووليته ثم قدمت على ربي عز وجل فسألني من وليت على أمة محمد لقلت : وليت عليهم معاذ بن جبل بعد أن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة ..

عن الشعبي قال : حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال :

قال ابن مسعود : إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا

فقيل : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا** ﴾ [1]

فقال : ما نسيت .. هل تدري ما الأمة ؟ وما القانت ؟

فقلت : الله أعلم

قال : الأمة : الذي يعلم الخير .. والقانت : المطيع لله عز وجل وللرسول .. وكان معاذ بن جبل يُعلّم الناس الخير ، وكان مطيعا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم [2]

ومن مواعظه

قال رجل لمعاذ بن جبل : علمني .. قال : وهل أنت مطيعي ؟

قال : إني على طاعتك لحريص ..

---

(١) سورة النحل ، آية ١٢٠

(٢) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٣٠

قـال : صُمْ وأفطـر ، وصـل ونـم ، واكتسـب ولا تـأثم ، ولا تموتـن إلا وأنت مسلم ، وإياك ودعوة المظلوم ..

وقـال معاذ بن جبل لابنه : يا بني إذا صليت فصلّ صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبدا ، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة أخرها ..

وقـال معـاذ : إنـك تجـالس قومـا لا محالـة يخوضـون فـي الحديث فـإذا رأيتهم غفلوا فأرغب إلى ربك عند ذلك رغبات .

وعن محمد بن سيرين قال : أتـى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه يودعونه فقال : إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى ينتظمه لك انتظاما فتزول به معك أينما زلت ..

وعن الأسود بن هلال قال : كنا نمشي مع معاذ بن جبل فقال : اجلسوا بنا نؤمن ساعة ..

وقـال معـاذ بن جبل : ابتليتم بفتنـة الضـراء فصـبرتم ، وستبتلون بفتنـة السـراء ، وأخـوفـه مـا أخـاف عليكم فتـنـة النسـاء إذا تسـورن الذهـب ، ولبسـن ربـاط الشـام ، وعَصْبَ اليمـن فأتعبن الغنـي وكلفن الفقير مـا لا يجد .. [1]

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٣٣

صفحات مضيئة من حياته

كان معاذ بن جبل قائد الميمنة يوم اليرموك ..

وفي صباح المعركة خطب في جنوده : أنتم إن شاء الله منصورون فأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ، واستحيوا من ربكم أن يراكم فرارا من عدوكم وأنتم في قبضته ورحمته وليس لأحد منكم ملجأ من دونه ..

ولما انقض الروم على الميمنة صاح معاذ : يا عباد الله المسلمين إن هؤلاء قد تيسروا للشدة عليكم ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البأساء ثم نزل عن فرسه وقال : من أراد أن يأخذ فرس ويقاتل عليه فليأخذه وآثر بذلك أن يقاتل راجلا مع المشاة ..

فوثب إليه ابنه عبد الرحمن وهو غلام قد احتلم فقال : يا أبت إني لأرجو أن أكون أنا فارسا أعظم غناء عن المسلمين مني راجلا .. وأنت يا أبت راجل أعظم منك فارسا .. وأعظم المسلمين رجّالة ، وإذا رأوك صابرا محافظا صبروا إن شاء الله وحافظوا ..

فقال معاذ : وفقني الله وإياك يا بني [1]

الصبر عند نزول البلاء

إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها وترادفت الضوائق وطال ليلها ، فالصبر يشع للمسلم النور العاصم من التخبط والهداية الواقية من

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ٢٠٩

القنوط ، والصبر من عناصر الرجولة .. فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل .. وإنما ينتقي لها ذوي الكواهل الصلبة والمناكب الشداد !!
كذلك الحياة لا ينهض برسالتها إلا رجال عمالقة وأبطال صابرون [1]
ومما لا شك فيه أن معاذ بن جبل من هذا الصنف في الجهاد وعند المرض ..

وفاته

وقع الطاعون بالشام فاستغرقها فقال الناس : ما هذا إلا الطوفان .. إلا أنه ليس بماء .. فبلغ معاذ .. فقال :
إنه قد بلغني ما تقولون ، وإنما هذه رحمة ربكم ودعوة نبيكم ، وكموت الصالحين قبلكم ، ولكن خافوا ما هو أشد من ذلك ، أن يغدوا الرجل منكم من منزله لا يدري أمؤمن هو أو منافق وخافوا إمارة الصبيان [2]
ومات أبو عبيدة بن الجراح في طاعون عَمواس واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا فقال : أيها الناس إن هذا الوجع (الطاعون) رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص الله بها من يشاء من عباده منكم ..
أيها الناس : أربع خلال من استطاع منكم أن لا يدركه شئ منها فلا يدركه شئ منها ..
قالوا : وما هن ..

---

(١) الشيخ محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ص ١٣١ بتصرف
(٢) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٣٩

قال : يأتي زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسي على دين آخر ، ويقول الرجل والله لا أدري على ما أنا ؟

لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة ، ويعطي الرجل من المال مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله .. اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة ..

فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن فرجع من المسجد فوجده مكروبا

فقال : يا عبد الرحمن كيف أنت ؟

قال : يا أبت ﴿ **الحق من ربك فلا تكن من الممترين** ﴾ [1]

فقال معاذ : وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين ..

فأمسكه ليلته ثم دفنه من الغد ، فطعن معاذ فقال حين اشتد به نزع الموت : رب اخنقني خنقك ، فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك [2]

وقيل إنه لما حضره الموت قال :

أعوذ بالله من ليلة صباحها النار ، مرحبا بالموت مرحبا ، زائد مُغَبٌّ ، حبيب جاء على فاقه ، اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن .. لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ،

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٦٠

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (٣ / ٢ / ١٢٥)

ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر [1] لنيل المزيد من العلم والإيمان والطاعة ..

- - -

ومات معاذ بن جبل في طاعون عمواس بناحية الأردن من الشام سنة ثماني عشرة هجرية في خلافة عمر بن الخطاب وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة على أرجح الروايات

- - -

فرحمك الله يا إمام العلماء وأجزل لك الثواب والعطاء فقد ساهمت بالنصيب الأوفر في بناء صرح الحق وهدم بنيان الباطل ..

لقد كنت أمة قانتا لله حنيفا .. كنت حين تتكلم يخرج منك الكلام نورا ولؤلؤا ..

كنت أعلم أمة محمد بالحلال والحرام كما حدث بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم ..

أحبك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الله .. وشبهك الصحابة بإبراهيم عليه السلام ..

ففي جنة الخلد مع من أحببت يا إمام العلماء جزاء ما صبرت وأعطيت وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٣٩



خبيب بن عدي بن مالك

بليع الأرض

أسطورة الفداء والتضحية

صحابي جليل أنصاري أوس .. آية الجهاد والنداء وأسطورة الفداء والتضحية ..

شهد بدر وأحد .. وأبلى فيهما بلاء حسنا ..

وفي غزوة بدر قتل الحارث بن عامر بن نوفل .. وعرف أبناءه أن خبيب بن عدي هو الذي صرع أبيهم ..

ذكر يوم الرجيع سنة ثلاث هجرية ١

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا :

يا رسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرؤننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام ..

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرا من أصحابه وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم عاصم بن ثابت بن عفان ..

وخرج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا .. وفزع الرعاة إلى أسلحتهم يقاتلون الغادرين ومن أعانهم من قبيلة هذيل .. وقتل عاصم ابن ثابت وبعض الدعاة ..

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٩٤

وأسر القوم خبيب بن عدي وزيد بن الرثنة .. وانطلقوا بهما حتى باعوهما في مكة .. فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خُبيبا وكانوا مازالوا يذكرون أنه قاتل الحارث بن عامر في غزوة بدر .

ولبث خُبيب عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله ليشفوا أحقادهم .. ودخلت إحدى بنات الحارث على خبيب ذات يوم فوجدته يأكل قطفا من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب واحدة .. إنه لرزق رزقه الله خبيبا .. فخرجت إلى القوم تصرخ وتحكي بما شاهدته وتقول : والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب ..

- - -

وخرج القوم بخبيب من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين فتركوه .. فصلى ركعتين وقال : والله لولا أن تحسبوا أن بي جزع لزدت .. اللهم أحصهم عددا واقتلهم بِدَداً ولا تبق منهم أحدا .. وأنشد :

ولست أبالي حين أقتل مسلما   على أي جنب كان في الله مصرعي

ثم قام إليه أبو سَرْوعة عقبة بن الحارث فقتله ..

وكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قُتل صبرا (أي حبسا) الصلاة [1]

- - -

---

(١) البخاري (٣٠٤٥ ، ٧٤٠٢)

قال سعيد بن عامر بن حذيم : شهدت مصرع خبيب ، وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا : أتحب أن محمدا مكانك وأنت سليم معافى في أهلك ؟

هنا انتفض خبيب كالإعصار وصاح : والله ما أحب أني في أهلي وولدي معي عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة ..

فقال أبو سفيان : والله ما رأيت أحدا يحب أحدا كما يحب أصحاب محمد محمدا .. وهنا تناوشت خبيب سهام القوم في جنون ووحشية ..

وكان خبيب أول من صلب في سبيل الله .. وأول من سن الصلاة قبل القتل كما تقدم ..

عن إبراهيم بن إسماعيل قال : أخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وحده عينا إلى قريش .. قال : فجئت إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فرقيت بها فحللت خبيبا فوقع إلى الأرض فانتبذت عنه غير بعيد ثم التفت فلم أر خبيبا ولكأنما ابتلعته الأرض ، فلم يُر لخبيب أثر حتى الساعة ..

وقد رُوي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال : كنت فيمن حضر قتل خبيب فلقد رأيت أبا سفيان حين دعا خبيب فقال : اللهم أحصهم عددا ،

يلقيني إلى الأرض فزعا من دعوة خبيب .. وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعي عليه فاضطجع زالت عنه الدعوة .. [1]

القرآن الذي نزل في سرية الرجيع

رُوي عن ابن عباس أنه قال : لما أصيبت السرية التي كان فيها خبيب ابن عدي قال رجال من المنافقين :

يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا ، لا هم قعدوا في أهليهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ؟

فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم فقال سبحانه وتعالى :

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ [2]

أي لما يُظهر من الإسلام بلسانه (ويشهد الله على ما في قلبه) وهو مخالف لما يقوله بلسانه (وهو ألد الخصام) أي ذو جدال إذا كلمك وراجعك .. [3]

حسان يبكي خبيبا

قال حسان بن ثابت يبكي خبيبا

ما بال عينك لا ترقأ مدامعها سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق

على خبيب فتى الفتيان قد علموا لا فشل حين تلقاه ولا نزق

---

(١) الإمام ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ص ٢٣٤

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٠٤

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٩٩

فأذهب خبيب جزاك الله طيبته وجنة الخلد عند الحور في الرفق

- - -

يا عين جودي بدمع منك منسكب وأبكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب

صقرا توسط في الأنصار منصبه سمحَ السجية محضا غير مؤتشب

- - -

رحم الله خبيبا الصحابي الجليل .. آية الجهاد .. وأسطورة الفداء والتضحية ..

رأته إحدى بنات الحارث يوما يأكل قطفا من عنب وهو موثق بالحديد وما بمكة حبة عنب واحدة .. إنه من عند الله .. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ..فزعت البنية لما رأته .. فحقا إنه لعجب لا يدركه إلا مؤمن صادق الإيمان .. رحم الله خبيب أول من صلب في سبيل الله .. وأول من سن الصلاة قبل القتل .. رحم الله خبيب .. بليع الأرض ..



عبد الرحمن بن عوف

الصحابي الذي صلى رسول الله خلفه في غزوة تبوك

هو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي ..

قال ابن سيرين : إن عبد الرحمن بن عوف كان إسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ..

أمه الشّفاء بنت عوف .. أسلمت وهاجرت ..

أسلم قديما قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم .. وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها .. وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ..

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك .. وقال صلى الله عليه وسلم : " ما قُبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته "

عبد الرحمن بن عوف هو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب وهو يجود بأنفاسه الأخيرة ليختاروا من بينهم الخليفة الجديد ..

مناقبه

رُوي عن أنس بن مالك أنه قال : بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتا رجّت منه المدينة فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عِيُر قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام ، وكانت سبعمائة راحلة .. فقالت عائشة : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رأيت

عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته ، قال : فأني أشهدك أنها بأجمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عز وجل [1] ..

وقالت أم سلمة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأزواجه " إن الذي يحنو عليكن بعدي لهو الصادق البار الصالح .. "

فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم باع عبد الرحمن بن عوف أرضا بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال على أمهات المؤمنين فلما وصل سهم عائشة إليها قالت : أما أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحنو عليكن من بعدي الصالحون سقى الله بن عوف من سلسبيل الجنة .. رواه أحمد والطبراني

وعن قتادة قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله أربعة آلاف دينار فقال ناس من المنافقين : إن عبد الرحمن لعظيم الرياء [2] .

وعن سعد بن إبراهيم عن أبيه أنه قُدم لعبد الرحمن بن عوف طعام وهو صائم فقال : قتل مصعب بن عميرة وهو خير مني كفن في بردة أن غُطي رأسه بدت رجلاه ، وأن غُطي رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال : وقتل حمزة وهو خير مني .. ثم بسط لنا من الدنيا ما بُسط أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام .. رواه البخاري برقم ١٢٧٤

---

(١) رواه الإمام أحمد ، ج ٦ ، ص ١١٥ !

(٢) الإمام السيوطي ، الدّر المنثور في التفسير بالماثور ، ج ٣ ، ص ٢٦٢

عفافه رضي الله عنه

عندما هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ..

قال سعد لعبد الرحمن : أخي .. أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فأنظر شطر مالي فخذه !! وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجبتك حتى أطلقها وتتزوجها ..

فقال له عبد الرحمن بن عوف : بارك الله لك في أهلك ومالك .. دلني على السوق ..

وخرج عبد الرحمن إلى السوق فاشترى وباع وربح ..

وكان محظوظا في التجارة .. وكانت تجارته ناجحة مباركة لتحريه الحلال .. ومما زادها نجاحا وبركة أنها لم تكن له وحده بل كان لله فيها نصيب أوفى يصل به أهله وإخوانه ويجهز به جيوش المسلمين ..

قال له رسول الله يوما : " يا ابن عوف إنك من الأغنياء ، وإنك ستدخل الجنة حبوا ، فأقرض الله يطلق لك قدميك " ..

ومنذ سمع من رسول الله ذلك وهو يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه الله له أضعافا كثيرة ..

ولم يبعث ثراؤه العريض ذرة واحدة من الصلف والكبر في نفسه حتى لقد قيل عنه أنه لو رآه من لا يعرفه وهو جالس بين خدمه ما استطاع أن يميزه من بينهم !!

على فراش الموت

وبعد حياة كريمة حافلة بالعطاء قضاها ابن عوف رضي الله عنه مجاهدا بماله وسيفه في سبيل الله تعالى آن له أن يستريح ..

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : غشي على عبد الرحمن ابن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه ، حتى قاموا من عنده ، وجللوه فأفاق يكبر ، فكبر أهل البيت .. ثم قال لهم : غُشي على آنفا ؟ قالوا : نعم

قال : صدقتم .. إنطلق بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدة وفظاظة فقالا : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين ، فانطلقا بي حتى لقيا رجلا قال : أين تذهبان بهذا ؟ قالا : نحاكمه إلى العزيز الأمين ، فقال : ارجعا فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم ، وإنه سيمتع به بنوه إلى ما شاء الله ، فعاش بعد ذلك شهرا [١]

وفاته

توفي عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين هجرية ودفن بالبقيع ، وهو ابن خمس وسبعين سنة وصلى عليه عثمان بن عفان ..

- - -

رحم الله عبد الرحمن بن عوف الصادق البار الصالح .. خيار الصحابة لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ١٠٥

التاجر الناجح المحظوظ في تجارته لتحريه الحلال ، والتي كان لله فيها نصيب ..

أقرض الله قرضا حسنا فضاعفه الله أضعافا كثيرة ..

سبقت له السعادة وهو في بطن أمه ..

صلى خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعته صلى الله عليه وسلم بالرجل الصالح ..

رحم الله الرجل الصالح الصادق البار .. وأسكنه فسيح جناته ..



جُلَيبيب

الصحابي الذي حمله الرسول على ساعديه حتى وضعه في قبره

هو الصحابي الجليل سعيد السلمي .. لم يكن ذو مال ولا جمال ولكن كان ذو إيمان أثبت من الجبال ..

جاء جليبيب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أيمنعني سوادي ودمامة وجهي من دخول الجنة ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا والذي نفسي بيده ما أيقنت بربك ، وآمنت بما جاء به رسوله " ..

فقال جليبيب : لقد شهدت منذ ثمانية أشهر .. ولقد خطبت إلى عامة من بحضرتك ومن ليس معك فردوني ، وإني لفي حسب من قومي من بني سلم ولكن غلب علي سواد أخوالي .

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان لأحدهم أيّم لم يزوجها حتى يعلم النبي : هل له فيها حاجة أم لا ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار : يا فلان زوجني ابنتك

قال : نعم ، ونعمة عين

قال صلى الله عليه وسلم : إني لست لنفسي أريدها

قال : لمن ؟

قال صلى الله عليه وسلم : لجليبيب

قال : يا رسول الله حتى استأمر أمها

فأتاها فقال : إن رسول الله يخطب ابنتك .. قالت : نعم ونعمة عين زوج رسول الله ..

قال : إنه ليس لنفسه يريدها .. قالت : فلمن ؟

قال : لجليبيب

قالت : الجليبيب !! لا لعمر الله لا أزوجها جليبيبا ..

فلما قام أبوها ليأتي النبي صلى الله عليه وسلم قالت الفتاة من خدرها لأبويها : من خطبني إليكما ؟

قالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم

قالت : أفتردون على رسول الله أمره ؟! ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني ..

فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : شأنك بها

فدعى النبي صلى الله عليه وسلم لها فقال :

" اللهم صب عليها الخير صبا ولا تجعل عيشها كدا كدا "[1]

وزوجها رسول الله جليبيبا ..

- - -

وسمع جليبيب صوت النفير ينادي : يا خيل الله اركبي ..

فاشترى فرسا وسيفا ورمحا وشد عمامته وذهب إلى القتال .. فأقبل يطعن برمحه ، ويضرب بسيفه حتى نام به فرسه ، فنزل وحسر عن ذراعيه وتشمر للقتال .. وانتهت المعركة ..

ويسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه : هل تفقدون من أحد ؟

قالوا : فلانا وفلانا

---

(١) رواه الإمام أحمد ، ٤ / ٤٢٢

قال صلى الله عليه وسلم : هل تفقدون من أحد ؟

قالوا : لا

قال صلى الله عليه وسلم : لكني أفقد جليبيبا فاطلبوه في القتلى

فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قُتل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مني وأنا منه ، أقتل سبعة ثم قتلوه ؟ هذا مني وأنا منه ، أقتل سبعة ثم قتلوه ؟ هذا مني وأنا منه

فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعديه ثم حفروا له ، ما له من سرير إلا ساعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعه في قبره [1]

وقد جاء في كتاب تنبيه الغافلين باب الحكايات ص ٤٣٢

" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع رأس سعيد السلمي(جليبيبا) ووضعه على حجره ومسح عن وجهه التراب بثوبه وقال :

" ما أطيب ريحك وأحبك إلى الله ورسوله " ..

وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أعرض بوجهه ثم قال : ورد الحوض ورب الكعبة

فقال أبو لبابة : وما الحوض يا رسول الله ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : حوض أعطانيه ربي ، عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى حافتاه مكللتان بالدر والياقوت ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا

---

(١) رواه مسلم (فضائل الصحابة) ١٣١

ثم أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته سبب بكائه ثم ضحكه ثم إعراضه فقال :

" أما بكائي فبكيت شوقا إلى جليبيب ، وأما ضحكي ففرحت بمنزلته من الله تعالى وكرامته على الله ، وأما إعراضي فإني رأيت أزواجه من الحور العين يتبادرنه كاشفات سوقهن باديات خلاخيلهن ، فأعرضت عنهن حياء منهن " ..

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاح جليبيب وفرسه وما كان له من شئ فقال : " اذهبوا به إلى زوجته "

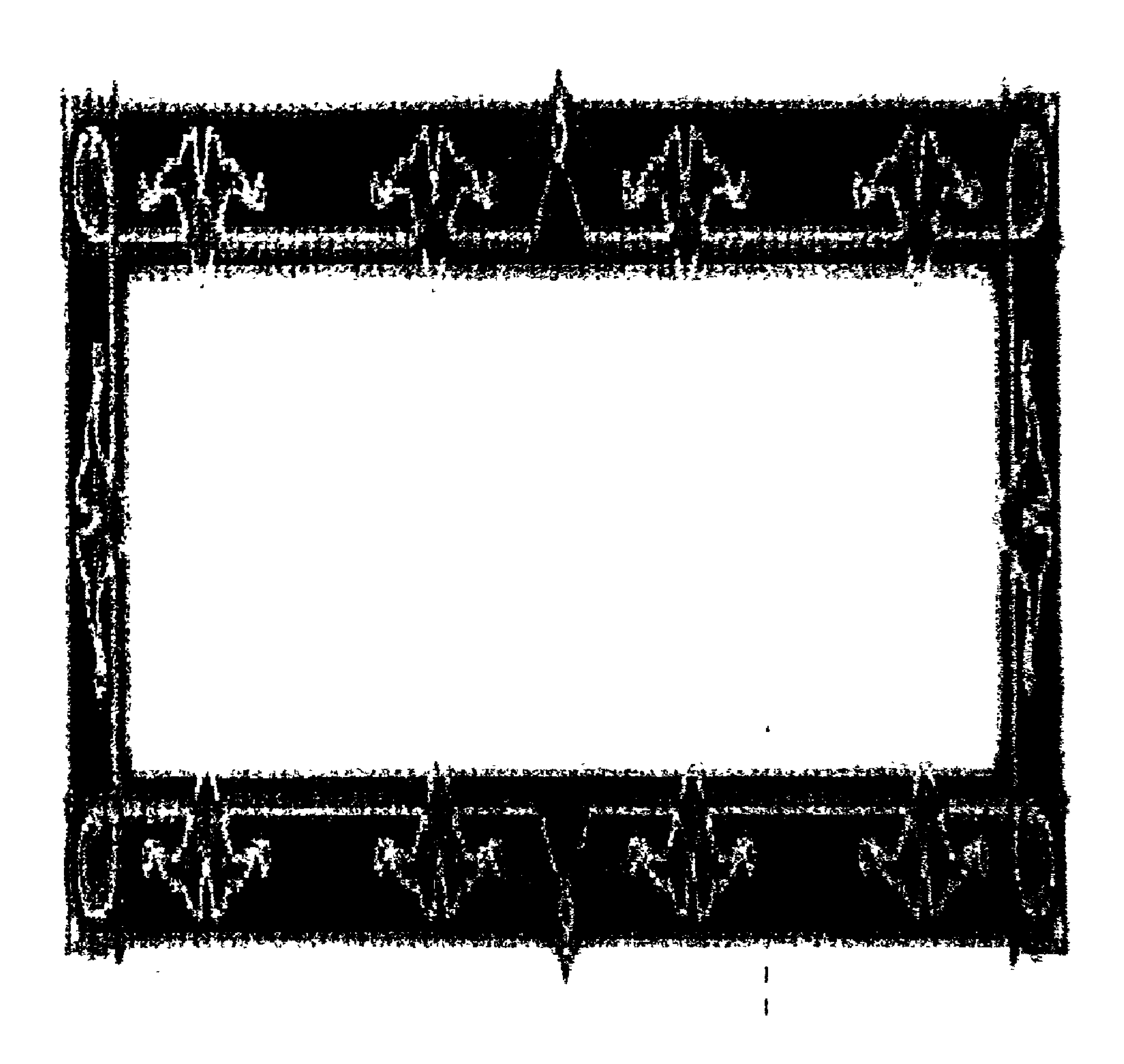
- - -

رحمك الله يا جليبيب .. زوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم

مت شهيدا وأنت تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحملك الرسول على ساعديه مالك من سرير إلا ساعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعك في قبرك ..

هنيئا لك جليبيب شاهدك الرسول صلى الله عليه وسلم تشرب من حوضه المبارك فمن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا ..

هنيئا لك سيدي جنة النعيم مع أصحابك وأحبابك البررة المتقين المقربين إلى رب العالمين .. فروح وريحان وجنة نعيم ..





عبد الله بن الزبير

الجنين المهاجر / حمامة المسجد

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزي بن قصي بن كلاب ، وهو من أكرم بيوتات العرب وأطيبهم منبتا

والده الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين ..

وهو أول مولود وُلد للمسلمين بالمدينة بعد الهجرة ، وأذّن جده أبو بكر الصديق في أذنه عند ولادته ، وحنّكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة يوم مولده ..

- - -

تقول السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة ولما أذن الرسول بالهجرة إلى المدينة خرجت مهاجرة ونزلت بقباء فولدته هناك ثم حملته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ، فدعا رسول الله بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنّكه بتمرة ثم دعا له وبرّك عليه ، وكان أول مولود وُلد للمسلمين بالمدينة بعد الهجرة كما ذكر سابقا .

وكان لمولد عبد الله بن الزبير بالمدينة فرحة كبيرة حتى أن المسلمين حملوه وطوفوا به في شوارع المدينة مهللين مكبرين .. ذلك أن سفهاء اليهود حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة اشتعلت أحقادهم فشاعوا أن كهنتهم قد سحروا للمسلمين فلن يولد لهم

مولود ذكر بعد اليوم .. وانتظر الناس ما تتجلي عنه الأيام القادمة .. حتى كان الثاني من شهر شعبان من العام الثاني للهجرة حين أعلن البشير أن أسماء بنت أبي بكر قد وضعت مولودا ذكرا أسمياه عبد الله فكان يوم ميلاده عيدا وفرحا للمسلمين فكبروا وهللوا .. فقد كان ميلاد عبد الله بن الزبير شهادة أهدرت زعم سفهاء اليهود ودليلا قاطعا على أن ذكر المسلمين ونسلهم لن ينقطع أبدا ..

- - -

وعاش عبد الله في كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتربى في حجره لأن خالته عائشة أم المؤمنين لم يكن لها ولد فعاملت ابن أختها معاملة الأبناء وكانت تصحبه معها في بيتها حتى كنيت بأم عبد الله .

وهكذا نشأ عبد الله في بيت أسس على التقوى فأبوه ذلك الصحابي الجليل الذي شهد المشاهد كلها وهو أول من سل سيفا في الإسلام وأم عبد الله هي السيدة أسماء بنت الصديق حبيب الرسول وصفيه الذي كان له كظله في سرائه وضرائه .. وفي هذه البيئة المباركة شب عبد الله على الطوق ، وبحكم صلته بنبيه وبربه حفظ القرآن وتفقه في الدين وسمع الحديث .. كان عبد الله صواما قواما نهاره صائم وليله قائم ولما انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى كان عبد الله بن الزبير غلاما لم يبلغ العاشرة من عمره إلا أنه قد تعلم في مدرسة الرسول وتلقى منه الكثير الذي كان نواة لعلمه وفقهه الواسع العظيم ..

كان الزبير بن العوام يصطحب ابنه عبد الله في الحروب والمعارك ليتربى على الجهاد والكفاح .. فشهد وهو في الرابعة عشرة من عمره معركة اليرموك في الشام في عهد عثمان بن عفان ..

عبد الله بن الزبير وعمر بن الخطاب

كان عبد الله بن الزبير يلعب مع الصبيان ، فمر بهم الخليفة عمر بن الخطاب ففرّ الصبيان ووقف هو ، فلما سأله عمر : لِمَ لمْ تفرّ مع الصبيان ؟

قال له عبد الله : لم أرتكب جرما فأهرب ، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسعها لك

فسُر عمر بن الخطاب وتنبأ له بمستقبل باهر لما رآه من رباطة جأشه واعتداده بنفسه ..

يوم الجمل

شهد الزبير بن العوام يوم الجمل مع طلحة وعائشة ولكنه انصرف عندما ذكّره علي بن أبي طالب بمقالة النبي صلى الله عليه وسلم

فعن أبي حرب بن الأسود الديلي قال : شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له علي : أُنشدك الله ، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تقاتله وأنت له ظالم " فقال : أذكر ، ثم مضى الزبير منصرفا فلما انصرف لا يريد القتال لقيه ابنه عبد الله فقال : جُبنا ، جُبنا ..

قال : قد علم الناس أني لست بجبان ، ولكن ذكرني علي بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحلفت ألا أقاتله .. ثم قال :

ترك الأمور التي أخشى عواقبها   في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

وطعنه ابن جُرموز فقتله [1]

ويقول الدكتور طه حسين عن نفس الموقعة :

فكان يوم الجمل الذي عظمت فيه المحنة على المسلمين وقد اقتنع الزبير بن العوام بخطئه فرجع عن الحرب ولكنه قُتل غيلة في طريقه إلى الحجاز ..

وصُرع عبد الله بن الزبير فلم ينج إلا بعد مشقة وجهد ، وكان المسلمون يقتتلون حول الجمل وعائشة تحمس أهل البصرة للقتال حتى أشار علي بعقر الجمل فلما عُقر الجمل تفرق القوم وانهزم أهل البصرة ونقلت عائشة في هودجها لم يمسها أذى ، وبعد أيام ردَّها علي مكرمة إلى المدينة [2]

تقواه

عن عمرو بن دينار قال : رأيت عبد الله بن الزبير يصلي في الحِجر خافضا بصره ، فجاء حَجر قُدَّامه فذهب ببعض ثوبه فما انفعل ..

وعن مجاهد قال : كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع .

وعن يحي بن وثّاب أن ابن الزبير كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه إلا جذمَ حائط ..

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ٩٥

(٢) د . طه حسين ، مرآة الإسلام ، ص ٢٢١

وعن عمرو بن دينار قال : ما رأيت مصليا قط أحسن صلاة من عبد الله بن الزبير

وعن ابن المنكدر قال : لو رأيت ابن الزبير وهو يصلي كأنه غصن شجرة تصفقها الريح والمنجنيق يقع ها هنا ها هنا ..

قال سفيان : كأنه لا يبالي ..

وعن عمرو بن قيس عن أمه أنها قالت : دخلت على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هو يصلي ، قالت : فسقطت حية من السقف على ابنه هاشم فتطوّقت على بطنه وهو نائم ، فصاح أهل البيت : الحيَّة وما زالوا بها حتى قتلوها ، وعبد الله بن الزبير يصلي ، وما التفت ولا عجل ، ثم فرغ بعد ذلك فقال : ما بالكم ؟

قالت أم هاشم : أيْ رحمك الله ، أرأيت إن كنا هنّا عليك ، أيهون عليك ابنك ؟

فقال : ويحك ، ما كانت التفاتة لو التفتُّها مبقية من صلاتي ..

وعن محمد بن حميد قال : كان عبد الله بن الزبير يحي الدهر أجمع ، ليلة قائما حتى يصبح ، وليلة يحييها راكعا حتى الصباح ، وليلة يحييها ساجدا حتى الصباح .

وعن مسلم بن ينّاق المكي : ركع ابن الزبير يوما ركعة فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه ..

قال الزبير : وحدثني محمد بن الضحاك ، وعبد الملك بن عبد العزيز ومن لا أحصى ، كثرة من أصحابنا أن عبد الله بن الزبير كان يواصل

الصيام سبعا يصوم الجمعة ولا يفطر إلا ليلة الجمعة الأخرى ، ويصوم بالمدينة ولا يفطر إلا بمكة ، ويصوم بمكة ولا يفطر إلا بالمدينة ..

قال عبد الملك : وكان إذا فطر كان أول ما يفطر عليه لبن لقحه بسمن بقر ..

وعن أم جعفر بنت النعمان عن أسماء بنت أبي بكر قالت : كان ابن الزبير قوام الليل ، صوام النهار ، وكان يسمى حمام المسجد ..

وعن ابن أبي مُليكة قال : كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام ويصبح اليوم السابع وهو الْيَثَنَا ..

وعن محمد بن عبيد الله الثقفي قال : شهدت خطبة عبد الله بن الزبير بالموسم ، خرج علينا قبل يوم التروية بيوم وهو مُحرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإنكم جئتم من آفاق شتى ، وفودا إلى الله فحق على الله أن يكرم وفده فمن كان جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخيب ، فصدّقوا قولكم بفعل ، فإن ملاك القول الفعل ، والنية النية ، القلوب القلوب ، الله الله في أيامكم هذه فإنها أيام تُغفر فيها الذنوب ..

وعن وهب بن كيسان قال : كتب إليَّ عبد الله بن الزبير موعظة :

أما بعد ، فإن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها ، ويعرفونها من أنفسهم ، من صبر على البلاء ، ورضي بالقضاء ، وشكر النعماء وذلَّ لحكم القرآن ، وإنما الإمام كالسوق ، من نفق فيها حُمل إليها ، إن نفق

الحق عنده حُمل إليه وجاءه أهل الحق وإن نفق عنده الباطل جاءه أهل الباطل ..

وعن أبي الضحى قال : رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأس مال

وعن مجاهد قال : كنت مع ابن عمر ، فمرَّ عليَّ ابن الزبير فوقف عليه فقال : يرحمك الله فإنك كنت كما علِمتُ صواما قواما وصولا للرحم وإني لأرجو إلا يعذبك الله عز وجل .. [1]

كان يصوم يومه ويقوم ليله ويخشع لله خشوعا يبهر الألباب ..

قال عمر بن عبد العزيز يوما لابن أبي مُليكة : صف لنا عبد الله بن الزبير فقال :

والله ما رأيت نفسا رُكبت بين جنبين مثل نفسه ، فلقد كان يدخل في الصلاة فيخرج من كل شئ إليها ، وكان يركع أو يسجد فتقف العصافير فوق ظهره وكاهله ولا تحسبه من طول ركوعه وسجوده إلا جدارا ، ولقد مرت قذيفة منجنيق بين لحيته وصدره وهو يصلي ، فوالله ما أحس بها ولا اهتز لها ولا قطع من أجلها قراءته ولا تعجل ركوعه ..

سئل عنه عبد الله بن عباس فقال :

كان قارئا لكتاب الله ، متبعا سنة رسوله ، قانتا لله ، صائما في الهواجر من مخافة الله .. ابن حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه

---

(١) الإمام ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ص ٢٩٢

أسماء بنت الصديق ، وخالته عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله ..!!

سُميَّ حمامة المسجد لشدة تقواه وكثرة تعبده وتعلق قلبه بالمساجد

جهاده في سبيل الله

أشترك عبد الله بن الزبير في فتح شمال أفريقيا والأندلس والقسطنطينية وكان بطلا من أبطال الفتوح الخالدين ..

في فتح شمال أفريقيا كان جيش المسلمين أقل عددا وعدة من جيش أفريقيا فنظر عبد الله بن الزبير بعيني صقر إلى قوات العدو فعرف أن مصدر قوتهم ملك البربر الذي يقود الجيش ويصيح في جنوده ، ويحرضهم على القتال فأدرك أن قتل هذا القائد سيحسم المعركة ، فشق الصفوف في نفر من أصحابه ، وانطلق كالسهم نحو هذا القائد وهوى عليه فأرداه قتيلا .. واستدار هو ومن معه إلى الجنود الذين كانوا يحيطون بقائدهم ويحمونه فصرعوهم ثم صاحوا :

الله أكبر .. الله أكبر .. وانتصر المسلمون .. ودانت شمال أفريقيا ..

توليه الخلافة

تولى عبد الله بن الزبير الخلافة سنة أربع وستون هجرية ، فحكم الحجاز ومصر واليمن والعراق وخراسان وأكثر الشام بعد أن بايعه أهل هذه الأمصار .. واستمرت خلافته تسع سنوات ..

أعاد بناء الكعبة المشرفة على قواعد إبراهيم عليه السلام كما كان يريد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفعل [1]

وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة فنقش بأحد الوجهين (محمد رسول الله) وبالوجه الآخر (أمر الله بالوفاء والعدل)

مقتل عبد الله بن الزبير

شنّ الأمويون حروبا موصولة على عبد الله بن الزبير باءت بالفشل والهزيمة حتى جاءت خلافة عبد الملك بن مروان فبعث بالحجاج الثقفي على رأس جيش قوي لغزو مكة عاصمة عبد الله بن الزبير فحاصرها قرابة ستة أشهر ، مانعا عن الناس الزاد والماء كي يحملهم على التخلي عن عبد الله بن الزبير ..

ولما اشتد الحصار وطال استسلم أكثر أنصار عبد الله بن الزبير ، وتخلفوا عنه ..

عن عروة قال : لما كانت الغداة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر وهي يومئذ ابنة مائة سنة فسألته عن الحرب قال :

بلغوا مكان كذا وكذا ، وضحك وقال : إن في الموت لراحة ، فقالت أسماء : يا بني لعلك تتمناه لي ، ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد

---

(١) أمينة الصاوي ، الكعبة المشرفة ، ص ٢٠٣

طرفيك إما أن تملك فتقر بذلك عيني ، وإما أن تقتل فأحتسبك .. وأضافت ..

يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق فاصبر عليه حتى تموت في سبيله ، ولا تمكن من رقبتك غِلمان بني أمية ..

وإن كنت تعلم أنك أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من ُقتل معك ..

قال عبد الله : والله يا أماه ما أردت الدنيا ولا ركنت إليها ، وما جُرت في حكم الله أبدا ، وما ظلمت ولا عدوت ..

وأشهد الله أني لا أهاب الموت ولا أخشاه ، وإنما أحرص على إحدى الحسنتين : النصر أو الشهادة في سبيل الله ..

فقالت له : إني لأرجو الله أن يكون عزائي فيك حسنا إن سبقتني إلى الله أو سبقتك .. ودعت له قائلة :

اللهم ارحم طول قيامه في الليل ، وظمأه في الهواجر ، وبرّه بأبيه وبي.

اللهم إني أسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله بن الزبير ثواب الصابرين الشاكرين ..

ثم ودعها وخرج عنها ..

ودخل في قتال ضار مع الحجاج فأصابته جرّة في مَفرقة حتى فلقت رأسه .. وتذكر قول عروه له : إنهم والله إن يأخذوك يقطعونك إربا إربا فقال :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الاله وإن يشأ يبارك في أوصال شلوٍ ممزّع

- - -

وحمل الحجاج بكل ثقله على عبد الله بن الزبير فقتله ، وبكل خِسة ودناءة مثل بجثمانه الطاهر .. وصلبه بعد القتل .. وكان ذلك في يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادي الأول سنة ثلاث وسبعين وهو ابن اثنتين وسبعين عاما ..

- - -

وجاءت أسماء بنت أبي بكر ووقفت أمام جثمان ابنها الشهيد عبد الله بن الزبير وهو مصلوب .. فدعت ربها ..

اللهم ارحم ذلك السجود ، والنحيب والظمأ في تلك الهواجر ..

- - -

واقترب منها الحجاج فقال : يا أماه إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد أوصاني بك خيرا ، فهل لك من حاجة ؟

فصاحت به قائلة : لست لك أم .. إنما أنا أم هذا المصلوب على الثّنية ، وما بي إليكم حاجة .. ولكني أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تخرج من ثقيف كذاب ومُبير " فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أراه إلا أنت ..

وتقدم إلى السيدة أسماء عبد الله بن عمر معزيا وقال : الصبر يا أماه

فأجابته : وماذا يمنعني من الصبر ، وقد اهدي رأس نبي الله يحي بن زكريا إلي بغيٍ من بغايا بني إسرائيل ..

- - -

ما أروع الكلمات وأجملها .. وما أقوى إيمانك يا ابنة الصديق ..

صدقت سيدتي فإن الحجاج السفيه قد مثل بجسد عبد الله بن الزبير الشهيد الطاهر وقدم رأسه هدية لسيده ومولاه عبد الملك بن مروان ، فإنه وإن كان قد مثل بجسد الشهيد الطاهر فانه قد مُثل بجسد نبي الله يحي بن زكريا وقُدمت رأسه لبغي من بني إسرائيل حقيرة هي سالومي

سلام عليك سيدتي ذات النطاقين قمت بإمداد الرسول وصاحبه الصديق بالطعام في الغار أثناء الهجرة وغرست في قلب ابنك الشهيد التقوى والإيمان وروح الفداء ..

وسلام عليك سيدي الشهيد الطاهر المبارك عبد الله بن الزبير حمامة المسجد الذي هاجر من مكة إلى المدينة وهو جنين مبارك في رحم أمه أول مولود في المدينة بعد الهجرة الذي قضى بمولده على إفك اليهود وافتراءاتهم عندما أشاعوا أنه لن يكون للمسلمين مولود ذكر ..

سلام عليك سيدي الذي أذّن أبو بكر الصديق في أذنك وحنّكك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مولدك فكان أول ما دخل في جوفك هو ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم المبارك ..

سلام عليك سيدي فقد كنت صواما قواما ، وصولا للرحم ، بارا بوالديك الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ..

حرصت على إحدى الحسنتين النصر أو الشهادة فنلت الشهادة وأنت تحارب في سبيل الله ..

سلام عليك يوم مولدك ويوم استشهادك ويوم تبعث مع النبيين والصديقين .. آمين آمين .



سعيد بن عامر بن خِذْيَم

الأمير الفقير

ابن سلامان بن ربيعة الجمحي ، أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها [1]

وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ولحقه الخليفة أبو بكر الصديق تولى الخلافة عمر بن الخطاب .

وكان عمر يختار ولاته من أهل التقوى والورع والكفاءة العالية ، فكان يجمع في اختيارهم بين أقصى غايات الحذر والدقة والكفاءة متبعا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لعن من ولى على المسلمين رجلا لقرابة أو مودة وهو يرى فيهم من هو خير منه ..

ولقد قال عمر : من ولى على الناس فاجرا فهو فاجرا مثله وعليه إثمه وكان يحاسب عماله عن كل إساءة أو تقصير [2]

ولما خلت ولاية حمص رأى عمر تعيين سعيد بن عامر أميرا عليها ..

عن عبد الرحمن بن سابط قال : أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر فقال : إنا مستعملوك على هؤلاء فسِرْ بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم ..

فقال سعيد : يا عمر لا تفتني

فقال عمر : والله لا أدعكم ، جعلتموها في عنقي ثم تخليتم عنيٍّ

وعنه قال : دعا عمر بن الخطاب رجلا من بني جُمح يقال له سعيد بن عامر بن خذيم فقال له : إني مستعملك على أرض كذا وكذا فقال :

---

(١) الإمام بن الجوزي ، صفة الصفوة ، ص ٢٤٩

(٢) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٨٦

لا تفتني يا أمير المؤمنين .. فقال : والله لا أدعك قلدتموها في عنقي وتركتموني ، ألا نفرض لك رزقا

قال : قد جعل الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونه أو فضلا على ما أريد

قال : وكان إذا خرج عطاؤه ابتاع لأهله قوتهم وتصدق ببقيته ، فتقول له امرأته : أين فضل عطائك فيقول لها : قد أقرضته

فأتاه ناس فقالوا : إن لأهلك عليك حقا وإن لأصهارك عليك حقا ..

فقال : ما أنا بمستأثر عليهم ولا بملتمس رحنا أحد من الناس لطلب الحور العين ، ولو اطلعت خيرة من خيرات الجنة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس ، وما أنا بمتخلف عن الرعيل الأول بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يجمع الله عز وجل الناس ليوم فيجئ فقراء المؤمنين فينزفون كما يزف الحمام ، فيقال لهم قفوا عند الحساب فيقولون : ما عندنا حساب ولا آتيتمونا شيئا ، فيقول ربهم صدق عبادي فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاما "

- - -

بلغ عمر أنه يمر بسعيد بن عامر كذا وكذا لا يدخن في بيته فأرسل إليه بمال ، فأخذه فصرره صررا فتصدق به يمينا وشمالا ، وقال : سمعت رسول الله يقول : " لو أن حوراء اطلعت إصبعا من أصابعها لوجد

ريحها كل ذي روح فأنا أدعهن لكن ؟ فوالله لأنتنّ أحرى أن أدعكن لهن منهن لكنّ .." [1]

سعيد يقبل الولاية

واقتنع سعيد بأن يتولى ولاية حمص

وخرج هو وزوجته ومعه قدر طيب من المال زوده به عمر بن الخطاب ، قالت له زوجته بعد أن استقرا في حمص : لو أنك اشتريت ما يلزمنا من لباس ومتاع وأثاث يليق بالأمراء ..

قال لها : إن أهل حمص تجار مهرة ، وإنه سيعطي المال لأحدهم ليتجر لهم فيه ، فيأكلون من ربحها ويبقى لهم أصل المال ..

قالت له زوجته : إن في التجارة المكسب والخسارة ، فمن يضمن لنا أن تجارتنا ستكسب ولا تخسر ..

قال لها : إن من سيعطيه المال تاجر شاطر وتجارته تكسب دائما ..

قالت له : اشترط عليه أن الكسب لنا والخسارة يتحملها هو

قال لها : لن تكون تجارتنا خاسرة بإذن الله ..

وخرج سعيد فاشترى بعض ضرورات معيشهم ، ثم فرق باقي المال على الفقراء والمحتاجين ..

- - -

(١) الحافظ أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٤٧

ومرت الأيام وتسأله زوجته بين الحين والحين عن تجارتهما وعن الأرباح فيرد عليها بأنها تجارة مباركة رابحة بإذن الله ..

وكان في ضيافة سعيد رجل من أقارب زوجته فسألته في حضور الضيف عن تجارتها وأرباحها .. فسكت .. ثم عاودت السؤال .. فسكت ولما طال صمته وكثر سؤالها قال لها قريبها بأن زوجها قد تصدق بالمال فبكت أسفا على ذلك المال ..

قال سعيد لزوجته : لقد كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ، ما أحب أن انحرف عن طريقهم ، ولو كانت لي الدنيا وما فيها ، ولو أن خَيْرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ، وأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك .

فتبسمت زوجته ورضيت ، وأدركت أنه لا شئ أفضل لها من مصاحبة زوجها والسير في طريقه وحمل النفس على محاكاته في زهده وتقواه .

الأمير الفقير

عن مالك بن دينار قال : أتى عمر بن الخطاب الشام فطاف بكورها .. قال : فنزل بحضرة حمص ، فأمر أن يكتبوا له فقراءهم فرفعوا إليه الكتاب بأسماء الفقراء ، فإذا فيهم سعيد بن عامر بن خذيم ..

قال عمر : من سعيد بن عامر ؟

قالوا : أميرنا

قال : أميركم ؟

قالوا : نعم

فعجب عمر ثم قال : كيف يكون أميركم فقيرا .. أين عطاؤه ؟ أين رزقه ؟

قالوا : يا أمير المؤمنين ، لا يمسك شيئا ..

قال : فبكى عمر .. ثم عمد إلى ألف دينار فصرّها ثم بعث بها إلى سعيد وقال : أقرئوه مني السلام وقولوا بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك ..

قال : فجاء بها إليه رسول عمر ، فنظر فإذا هي دنانير ..

قال فجعل يسترجع

قالت له امرأته : ما شأنك يا سعيد .. أمات أمير المؤمنين

قال : بل أعظم من ذلك

قالت : فما شأنك ؟

قال : الدنيا أتتني .. الفتنة دخلت عليَّ

قالت : فأصنع فيها ما شئت

قال : عندك عَوْن ؟

قالت : نعم

قال : فأخذ دُريعة فصر الدنانير فيها صرارا ثم جعلها في نحلاة .. ثم اعترض جيشا من جيوش المسلمين فأمضاها كلها ..

فقالت له امرأته : رحمك الله ، لو كنت حبست منها شيئا نستعين به

فقال لها : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملأت ريح مسك " رواه أحمد

وإني والله ما كنت لأختارك عليهن .. فسكتت ..[1]

شكوى أهل حمص من سعيد بن عامر

كان عمر بن الخطاب يسأل الرعية عن أميرهم ، وكان يحقق كل شكوى تصل إليه .. وتحريا للعدل كان عمر يجمع بين الشاكين والمشكو منه ..

ويزور عمر حمص .. ويجتمع بالناس في المسجد فيسألهم عن أميرهم فيقولون : نحن نشكو منه أربعا :

- لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار
- لا يجيب أحدا بليل
- له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا
- تأخذه الغَشْيَّة – الإغماء بين الحين والآخر –

فدعاه عمر فحضر على الفور

قال لهم عمر : أعيدوا شكواكم .. فأعادوها ..

ودعا عمر سعيد للرد عليهم

(١) الإمام الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ١ ، ص ٢٥١

قال سعيد : أما قولهم : إني لا أخرج إليهم حتى يتعالى النهار فوالله لقد كنت أكره ذكر السبب .. إنه ليس لأهلي خادم فأنا أعجن عجينهم ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ وأخرج إليهم ..

وقال سعيد : أما عن قولهم أني لا أجيب أحدا بليل فوالله إني كنت أكره ذكر السبب أيضا .. إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل

وتهلل وجه عمر وتبسم وحمد الله ثم قال : والثالثة ؟

قال سعيد : أما قولهم أن لي يوما في الشهر لا أقابل فيه أحدا فإنه ليس لي خادم يغسل ثيابي ففي هذا اليوم أغسلها وانتظرها حتى تجف ثم أخرج إليهم آخر النهار

قال عمر : والرابعة ؟

قال سعيد : شهدت مصرع خُبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع وقالوا له : أتحب أن محمدا مكانك وأنت في أهلك معافى ؟

قال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي ويشاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة .. ثم نادى : يا محمد ..

فكلما تذكرت ذلك المشهد وتركي نُصرة خُبيب في ذلك اليوم ، وكنت يومها مشرك لم يدخل نور الإسلام قلبي ، إلا ظننت أن الله لا يغفر لي ذلك الذنب أبدا فأرتجف خوفا من عذاب الله ويغشاي ما يغشاني ..

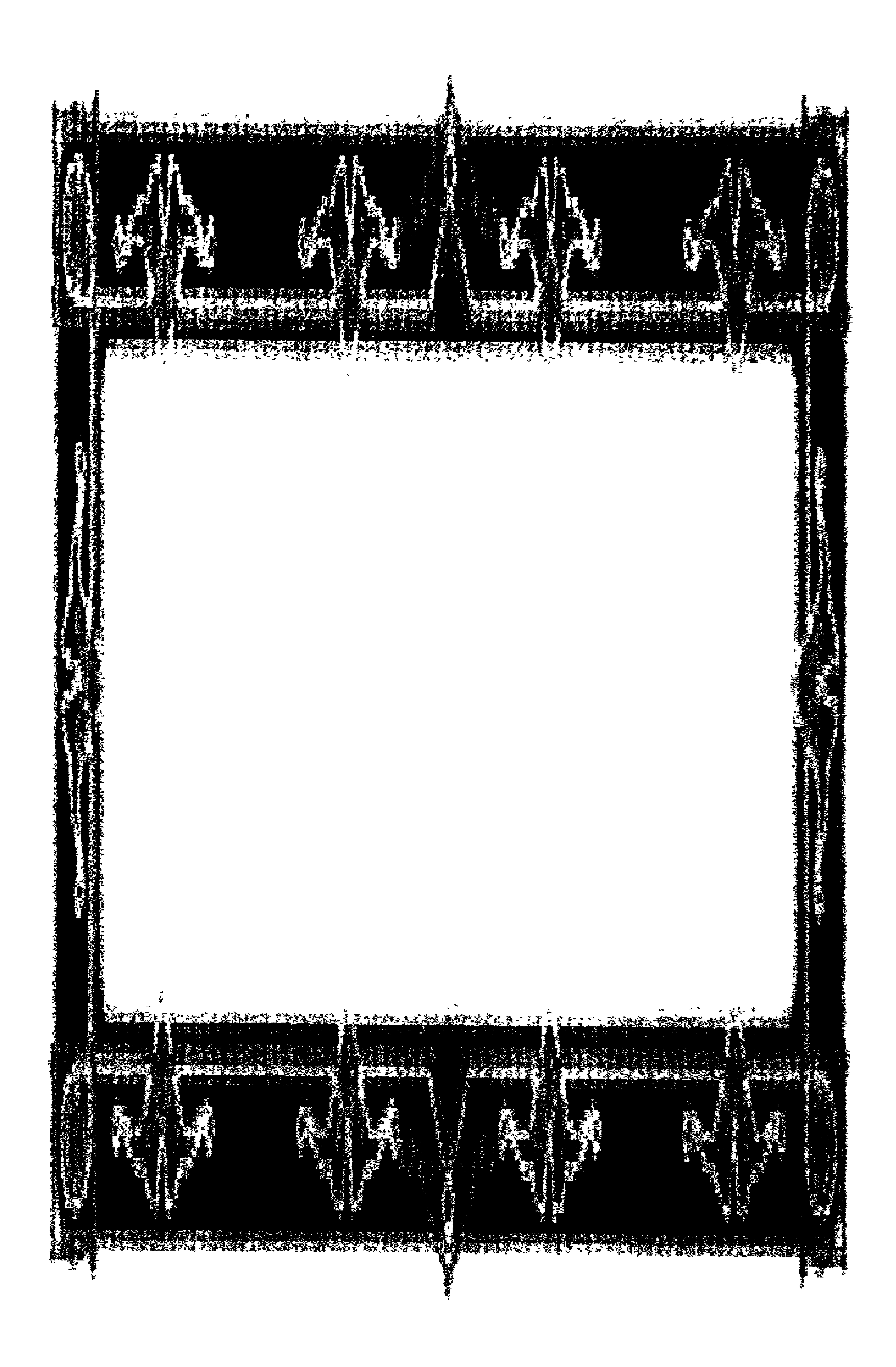
وتهلل وجه عمر بن الخطاب وقال : الحمد لله الذي لم يخيب فراستي كما تهللت وجوه أهل حمص وتمسكوا بأميرهم التقي الورع ..

وفاته

وبعد أن طـال شوق سعيد بن عامر إلـى رفاقـه المتطـهرين من الرعيل الأول الذي نذر حياته لحفظ عهده وتتبع خطاه مات ..

مات سنة عشرين هجرية في خلافة عمر بن الخطاب ..

فلقي ربـه أتقـى مـا يكون قلبا وأنقـى مـا يكون سيرة ، وأطـهر مـا يكون صفحة .. رحم الله سعيد بن عامر الأمير الفقير ..





عمرو بن العاص

" أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص"

حديث شريف

"أطربون العرب" هكذا سماه عمر

ابن الخطاب لشدة فطنته ودهائه

هو الأمير عمرو بن العاص بن وائل داهية قريش ، ورجل العالم ، ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم [1]

إسلامه

كان عمرو بن العاص في زيارة للحبشة ولقي ملكها النجاشي .. وكان عمرو ما يزال على شركه وتطرق الحديث إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النجاشي عنه :

إنه رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى .. وتعجب النجاشي من عدم إيمان عمرو به .. ونصحه باتباعه قائلا :

ويحك يا عمرو ، أطعني واتبعه .. فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون ..

يقول عمرو بن العاص :

ثم خرجت من عند النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة ، فقلت له :

أين يا أبا سليمان ؟

قال : والله ، لقد استقام الطريق وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ..

قال عمرو .. فقلت والله ما جئت إلا لأسلم

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ٣٤٦

قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عمرو بايع فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها ، فبايعته ثم انصرفت " [1]

إخلاصه

عن موسى بن علي عن أبيه سمع عمرا يقول : بعث إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني فأتيته وهو يتوضأ فصعَّد فيَّ البصر وصوَّبه فقال :

" إني أريد أبعثك على جيش ، فيُسلِمك الله ويغنمك ، وأرغب لك رغبة صالحة من المال "

قلت : يا رسول الله ! ما أسلمت من أجل المال ، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام ولأن أكون مع رسول الله ..

قال صلى الله عليه وسلم : " يا عمرو نِعمّا بالمال الصالح للرجل الصالح " [2]

- - -

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ١٧٤

(٢) رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)

- قال عقبة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
  " أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص " [1]
- وعن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إبنا العاص مؤمنان ، عمرو وهشام " رواه الإمام أحمد (٢ / ٣٠٤)
- أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل ثم أمده بجيش فيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح .. أخرجه البخاري (٧ / ١٨ و ١٩)
- قال له عمر بن الخطاب : ما ينبغي لأبي عبد الله أنْ يمشي على الأرض إلا أميرا .. وسماه أطربون العرب لشدة فطنته ودهائه ..
- وقال عنه الإمام الذهبي : كان من أجَلّ رجال قريش رأيا ودهاءا وحزما وكفاءة وبصرا بالحروب ، ومن أشراف ملوك العرب ، ومن أعيان المهاجرين ، والله يغفر له ويعفو عنه ، ولولا حبه للدنيا ودخوله في أمور لصلح للخلافة فإن له سابقة ليست لمعاوية فقد تأمَّر على مثل أبي بكر وعَمر لبصره بالأمور ودهائه [2]
- قال عنه أطربون القائد الروماني الشهير : هذا أدهى الخلق ..

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤ / ١٥٥)
(٢) الحافظ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق الأرنؤوط ، ج ٣ ، ص ٥٩

الرسول صلى الله عليه وسلم يؤمره في غزوة ذات السلاسل

كانت هذه الغزوة في جمادي الآخرة سنة ثمان

قال ابن سعد : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جماعة من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فعقد لواء أبيض وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسا ، وأمره أن يستعين بمن مرّ به من بلى وعذرة وبلقين ، فسار الليل وكمن النهار ، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء ، وبعث له سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا .. فلما لحق به أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو إنما قدمت عليَّ مددا وأنا الأمير فأطاعه أبو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس ..

وسار حتى وطئ بلاد قضاعة فدوخها حتى أتي إلى أقصى بلادهم ولقي في آخر ذلك جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا ، وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقفولهم وسلامتهم ما كان في غزاتهم ..

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عُدي عن داود عن عامر قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش ذات السلاسل فاستعمل أبو عبيدة على المهاجرين واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب وقال لهما " تطاوعا " .. قال : وكانوا أمروا أن يغيروا على بكر فانطلق عمرو وأغار على قضاعة لأن بكرا أخواله ، قال : فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك علينا وإن ابن فلان قد اتبع أمر الوقم فليس لك معه أمر ، فقال أبو عبيدة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نتطاوع فأنا أطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن عصاه عمرو [1]

ارتداد العرب

يتحدث الرواة أن عمرو بن العاص عاد من مهمة كلفه النبي صلى الله عليه وسلم أداءها في عُمان فمر في طريقه إلى المدينة بسيد من سادات بني عامر يقال له قُرة بن هبيرة فأنزله قرة وأكرمه ، فلما همّ عمرو أن يرتحل خلابة قرة وقال له : يا هذا ! إن العرب لا تدين لكم بالإتاوة ، ثم اتصل الحديث بينهما حتى تغاضبا وأوعده عمرو ..

وبلغ عمرو المدينة وقد رأى كفر من مر بهم من العرب فتحدث في ذلك إلى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وريع هؤلاء النفر لحديث عمرو وجعلوا يتحدثون في ذلك فأقبل عمر بن الخطاب مُسَلما على عمرو ، فلما رآه أولئك النفر سكتوا ..

---

(١) الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ٢ ، ص ٢٢٦

قال عمر : إني أعلم فيما تتناجون ، فأجابه طلحة بن عبيد الله أتريد أن تحدثنا بالغيب يا ابن الخطاب ؟

قال عمر : لا يعلم الغيب إلا الله ، إنما ظننت أنكم سمعتم ما أنبأ به عمرو من كفر العرب وانتفاضهم فراعكم وجعلتم تتناجون فيه ..

قالوا : صدقت

قال عمر : فإني والله لأخافكم على العرب أكثر مما أخاف العرب عليكم [1]

- - -

وقد بعث أبو بكر الجيوش لمحاربة المرتدين من العرب ومانعي الزكاة وانتصر عليهم وأعادهم إلى الإسلام .. كما انتصرت جيوش المسلمين التي بعث بها أبو بكر على مدعي النبوة وكان أبرزهم مسيلمة الكذاب الذي ظهر في أواخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتم النصر للمسلمين في موقعة اليمامة ، وقُتل مسيلمة الكذاب وكثير من أتباعه شر قتلة

جهاد عمرو بن العاص في سبيل الله

جنّد أبو بكر جنودا وأمّر عليهم أمراء من بينهم عمرو بن العاص وأرسلهم إلى الشام ، وهناك توحدت الجيوش وانتصرت على جيوش

---

(١) د . طه حسين ، الشيخان ، ص ٧٩

الروم في موقعة اليرموك سنة ١٣ هجرية .. ثم توالت انتصارات المسلمين بعد ذلك حتى تم فتح الشام في عهد عمر بن الخطاب ..

- - -

ويُروى أنه أثناء حروب الشام أرسل أبو عبيدة بن الجراح القائد العام لجيوش المسلمين بالشام عمرو بن العاص إلى غزة وأمره أن يفتحها ويستولى على ما حولها من البلاد التي تمد إيلياء (بيت المقدس) ..
وكانت قوات الروم التي ما زالت بفلسطين تحت قيادة الرجل الثاني في الإمبراطورية الرومانية بعد هرقل ويسميه الروم أطربون ويسميه العرب أرطبون ، وكان أدهى الروم وأوسعهم حيلة ، وقد وزع قواته على غزة وما حولها من مدن ..
وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب عن أطربون وسعة حيلته فقال عمر : قد رمينا أطربون الروم بأطربون العرب فانظروا عما تنفرج !!
وقد صدق ظن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فانتصر أطربون العرب على أطربون الروم وبدا أدهى وأوسع منه حيلة .. ولكن .. كيف ؟
ذهب عمرو بن العاص إلى أطربون وأدعى أنه رسول عمرو بن العاص إليه .. وتلطف أطربون إليه واستأنس به ، فلما تحاورا شك أطربون فيه ، وقال في نفسه إن هذا لعمرو بن العاص أميرهم نفسه أو الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من

قتله ! ثم دعا رجلا فاتكا من خاصته وهمس إليه بأن يتربص بعمرو بن العاص على طريق عودته فيقتله ..

وشعر عمرو بما يدبره له أطربون فقال له وهو ينهض : وقد سمعت مني وسمعت منك .. فأما ما قلته فقد وقع مني موقعا حسنا ، وما أنا إلا واحد من عشرة بعثهم عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص لنكاتفه ويشهدنا أموره فلأرجع فآتيك بهم الآن ، فإن رأوا في الذي عرضت عليّ مثل الذي أرى فقد رآه العسكر والأمير ، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم وكنت على رأس أمرك ..

فقال أطربون : انطلق لأصحابك ..

ودعا أطربون الرجل الفاتك الذي كان قد أمره باغتيال عمرو فنهاه عن ذلك ..

وانطلق عمرو إلى عسكره وقد عرف مواطن الضعف في حصون الرومان وجيشهم فباغتهم بهجوم خاطف عنيف .. فقال أطربون : لقد كان هو عمرو ، خدعني الرجل ! هذا أدهى الخلق !

وبلغ الفاروق عمر ما حدث فضحك وقال :

غلبه دهاء عمرو ! لله درّ عمرو !

وسقطت غزة .. وأسرع ما حولها من المدن إلى طلب الصلح [1]

---

(١) عبد للرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ١٨٥

عمرو بن العاص وفتح مصر

استأذن عمرو بن العاص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في فتح مصر .. وفكر عمر طويلا ثم أرسل إلى عمرو بموافقته ، وتوجه عمرو بن العاص إلى مصر سنة ١٨ هجرية .

وفي مصر أراد المقوقس أن يكفي قومه القتال لما يعلمه من إصرار العرب المسلمين على النصر وبأنهم باعوا أنفسهم لله بأن لهم الجنة فهم يقاتلون في حرص على الموت أكثر من حرص الروم على الحياة فهم يحرصون في حربهم على إحدى الحسنتين : النصر أو الشهادة ...

ثم إن المقوقس يعلم أن رعاياه القبط يكرهون الروم ويتمنون الخلاص منهم .. فبعث المقوقس إلى عمرو بعض القساورة يفاوضونه ليكف عن مصر فقال لهم عمرو بن العاص :

نحن ندعوكم إلى الإسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا المنعة .. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما "

فمصر لم تكن بعيدة عن الدعوة المحمدية منذ البداية .. ولم يكن الإسلام طارئا مفاجئا لمصر عندما أشرقت عليها جيوش المسلمين فما كان من مسلم في حياة النبي عليه السلام أو بعد وفاته إلا وهو يعلم أن مصر مفتوحة للمسلمين على يقين ، وإنما هو الأوان المحتوم في يوم غير معلوم على تعبير الأستاذ العقاد ، ولقد جاء الأوان المحتوم وليس

في مصر من يود بقاءها في حوزة الدولة الرومانية بعد الذي كان منها من طغيان وجور وظلم .. كل ذلك أساء إلى المصريين في دينهم ودنياهم وجعلهم يتعجلون اليوم الذي تزول فيه هذه الدولة الظالمة .. فلما تقدم جيش الخلاص بقيادة عمرو بن العاص رحّب به المصريون وقدموا له كل ما في مكنتهم من عون .. وفي ذلك تقول الدكتورة سميرة بحر في كتابها (الأقباط في الحياة السياسية المصرية) ولا شك أن أقباط مصر قدموا العون للمسلمين أثناء فتحهم لمصر ، وإن كان هذا لا ينفي حدوث بعض المقاومة ..[1]

وحدث بالفعل ..

فبعد اتفاق عمرو بن العاص والمقوقس على الصلح رفض الرومان هذا الصلح ، وتقدم الأطربون بجيشه إلى بلبيس .. واحتدمت المعركة وانتصر المسلمون على الروم وقتلوا قائدهم الأطربون ، وفر الباقون إلى حصن بابليون ..

وحاصر عمرو بن العاص وجنوده حصن بابليون .. وطال الحصار من البر والبحر عدة شهور حتى خاف المقوقس هلاك من بالحصن من الروم فأرسل إلى عمرو يفاوضه ..

فتصالح عمرو والمقوقس على أن يعطيهم عمرو الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، وعلى ألا يؤخذ من أرضهم ولا

---

(١) جمال بدوي ، مصر من نافذة التاريخ ، ص ١٣١

يكلفوا غير طاقتهم وشرط المقوقس أن يُخبر الروم ، فمن شاء منهم أن يقيم على مثل هذا أقام ، ومن أراد الخروج من مصر خرج ..

وكتب المقوقس إلى ملك الروم يعلمه بعقد الصلح مع العرب فغضب الملك غضبا شديدا ولم يوافق على الصلح .. فأخبر المقوقس عمرو بذلك وقال له : إن الملك لم يرض بالصلح وأمر بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ! ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وبما عاهدتك عليه ، وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني ، وقد تم صلح القبط المصريين فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا مُتمّ لك على نفسي ، والقبط مُتمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم برئ !!

- - -

وكانت العرب قد غلبت الروم على الشام كله ، ولم يعد للروم معقل أمنع من الإسكندرية ، فكان ملك الروم يقول : إن ظهرت العرب على الإسكندرية فإن ذلك انقطاع ملك الروم ! لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها لأنه ليس للروم أعظم من كنائس الإسكندرية ..

من أجل ذلك حشد هرقل كل ما يملك من عدة وعتاد وطاقات لمعركة الإسكندرية ..

واستبد بملك الروم القلق على الإسكندرية فكان لا ينام ولا يأكل حتى أصابته لوثة صرعته فهلك بغتة ..

ورأى عمرو أن يحارب بالصبر فها هم أولاء القبط يمدون جيشه بما يحتاج إليه من طعام وعتاد وسلاح .. أما الروم فقد انقطع مددهم من البحر بعد هلاك هرقل وانشغال خلفه من بعده بالصراع على السلطة .. وبعد شهور من الحصار اقتحم المسلمون الإسكندرية واشتبكوا بجيوش الروم التي فتك بها السأم وأضعفها انقطاع المدد وقلة الطعام ..

غُلبت الروم .. وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة وفرّ الروم إلى البحر فوجهوا السفن إلى بلادهم وفرّ بعضهم إلى البر ، ودخل العرب الإسكندرية ودوت جنباتها بهتاف الله أكبر .. الله أكبر

- - -

وعندما دخل العرب الإسكندرية بهرتهم عظمتها ، وخطفت أبصارهم نصاعة بياضها ، ووجدوها تضئ بالليل من غير مصابيح لشدة بياض ما بها من الرخام والمرمر !!

وبعث عمرو إلى الخليفة عمر بن الخطاب بشيرا بالفتح ..

- - -

ولقد هم عمرو بن العاص أن يقيم بالإسكندرية ويقرها عاصمة الدولة ، ولكنه لم يكن يقطع أمرا قبل أن يسأل فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. فلما أرسل إليه يسأله رد عليه عمر : إن سكنت الإسكندرية فهل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ كتب عمرو : نعم يا أمير المؤمنين إن جرى النيل – الفيضان – فكتب إليه عمر : يا عمرو إني

لا أحب أن تُنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء أو صيف ..

وعلى الرغم من أن عمرو بن العاص أحب الإسكندرية فقد عدل عن سكناها امتثالا لأمر الخليفة عمر بن الخطاب ..

وترك عمرو بن العاص الإسكندرية وعاد بجنوده إلى حصن نابليون وأقام المسلمون مدينة الفسطاط وبنو فيها مسجدا هو جامع عمرو بن العاص ، أول مسجد بُني في مصر .. وبنى الناس دورهم حول المسجد

- - -

وبعد أن اطمأن المسلمون في مصر اتجهوا غربا ففتحوا برقة وطرابلس وذهب بعضهم إلى الجنوب ففتحوا بلاد النوبة ..

- - -

الجفاف والجوع عند العرب .. ونجدة مصر لهم

بينما عمر بن الخطاب في أوج سعادته بانتشار الإسلام وانتصاره وتمكنه من إسعاد الرعية إذا بغاشية من الهم تغشاه وتكدر عليه صفوه ! فقد أقبل عليه أقوام من البادية يشكون الجفاف والجوع ، فلم تمطرهم السماء منذ أشهر وقد احترقت الخضرة ..

وأسرع عمر فكتب إلى عماله في البلاد الغنية يستغيثهم ..

فكتب إليه عمرو بن العاص يقول :

لعبد الله أمير المؤمنين من عمرو بن العاص .. سلام عليك .. فإني أحمد الله إليك لا إله إلا هو .. أما بعد .. أتاك الغوث ، فالريث الريث !

لأبعثن إليك بعِير (عير بكسر العين : قافلة) أولها عندك وآخرها عندي ..

وصدق عمرو

فبعث بعشرين سفينة كبيرة وعدة آلاف بَعير تحمل الطعام والكساء كان أولها في الحجاز وآخرها في مصر .. [1]

واستشهد كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وتمت البيعة لعلي بن أبي طالب .. ونازع علي في الخلافة معاوية بن أبي سفيان وكان واليا على الشام ، وناصر عمرو بن العاص معاوية على عليٍّ

موقعة صفين

بعث الإمام علي بن أبي طالب إلى معاوية يدعوه إلى الصلح والطاعة وإلى جمع كلمة المسلمين وحقن دمائهم والدخول فيما دخل فيه الناس .. وكان الناس قد قبلوا بيعة على في جميع أقطار الأرض الإسلامية شرقا وغربا إلا الشام فقد عصت ..

فلم يجد علي بدا من حرب معاوية .. فسار بجيشه حتى بلغ صفين ، فوجد معاوية قد سبقه في أهل الشام إلى الماء يريد أن يظمئ عليا وجيشه فاقتتل القوم على الماء حتى غلب أصحاب علي على معاوية ..

(١) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب، ٢٢٦ ــ ٢٥٦ بتصرف

ولكن عليا رحمه الله أبى أن يظمئ معاوية وأهل الشام فتركهم يشربون ويسقون أنعامهم ويأخذون من الماء حاجتهم ..

وسعى السفراء بين الفريقين ..

وعلي يعرض الصلح دائما ويظهر حجته وحجة من معه على أهل الشام ولكن معاوية وعمرو بن العاص أبيا إلا القتال .. فكان القتال .. وجعل المسلمون من الفريقين يتفانون .. وكانت الحرب سجالا تدور على أهل الشام يوما وعلى أصحاب علي يوما آخر ، ولكن عاقبة الحرب كادت تكون لعلي ، وكاد جيش الشام يُهزم ، وزعم الرواة أن معاوية هَمَّ أن يركب فرسه للهرب لولا عمرو بن العاص ..

فقد وجد عمرو بن العاص مخرجا من هذا الحرج فاقترح أن ترفع المصاحف على الأسنة ، وأن يُدعى علي وأصحابه إلى كتاب الله يحتكمون إليه فيحقون ما أحق ويبطلون ما أبطل .. وجازت الحيلة على كثير من أصحاب علي وعلى أهل اليمنْ خاصة فاستكرهوا عليا على الهدنة .. وحاول على أن يمتنع عليهم ، وعرف أنها خدعة ، ولكن أهل اليمن أبوا إلا قبول الهدنة وأنذروا عليا ، فاضطر كارها إلى الإذعان لرأى الكثرة من أصحابه ..

وتقررت الهدنة بين الفريقين على أن يرسل كل فريق منهما حكما يرضاه وعلى أن يجتمع هذان الحكمان فيقضيان بما قضى به القرآن بين الفريقين المختصمين ..

وكان قتل عمار بن ياسر في صفين تثبيتا لعلي والصالحين من أصحابه وتشكيكا لمعاوية ومن معه ، ذلك أن كثيرا من المهاجرين والأنصار قد سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يمسح رأس عمار أثناء بناء المسجد : ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ..

فأما معاوية وعمرو بن العاص فما أسرع ما وجدا مخرجا من هذا الحرج فقالا : لم نقتله وإنما قتله الذين جاءوا به إلى الحرب ، وأذاعا مقالتهما هذه في أهل الشام تثبيتا لقلوب الذين أدركهم شئ من الشك والقلق ..

- - -

والتقى الحكمان (أبو موسى الأشعري عن علي وعمرو بن العاص عن معاوية) فلم يصنعا شيئا وإنما اختلفا وتشاتما وافترقا كما التقيا ، لأن عمرو أعلن خلعه لعلي وإثباته لمعاوية .. ولأن أبا موسى زعم أنه كان اتفق مع عمرو على خلع الرجلين وجعل الخلافة شورى بين المسلمين ، فلم يتحرج عمرو بن العاص من أن يخالف عما تراض عليه الحكمان ، وقد رفض علي هذا الحكم وقبله معاوية .. وعادت الحرب بينهما سيرتها الأولى ..

تآمر الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو ولكنهم فشلوا في قتل معاوية وعمرو وقتل عبد الرحمن بن ملجم علي بن أبي طالب في

المسجد وهو خارج للصلاة ، وقتل معاوية محمد بن أبي بكر والي علي على مصر وأهداها إلى عمرو بن العاص سنة ٣٨ هجرية ..[1]

وفاته

عن عوانة بن الحكم قال : قال عمرو بن العاص عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه ؟ فلما نزل به الموت ذكره ابنه بقوله وقال : صفه .. قال : يا بني .. الموت أجلّ من أن يوصف ، ولكني سأصف لك ، أجدني كأنّ جبال رَضْوَى على عنقي وكأنّ في جوفي الشوك ، وأجدني كأنّ نفسي يخرج من إبرة ..

وعن عبد الله بن عمرو أن أباه حين احتُضر قال : اللهم إنك أمرت بأمور ونهيت عن أمور ، تركنا كثيرا مما أمرت ، ورتعنا في كثير مما نهيت .. اللهم لا إله إلا أنت .. ثم أخذ بإبهامه فلم يزل يهلل حتى فاضت روحه .

وعن أبي نوفل بن أبي عقرب قال : جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعا شديدا فقال ابنه عبد الله : ما هذا الجزع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدنيك ويستعملك ! قال : أي بنيَّ قد كان ذلك وسأخبرك ، أي والله ما أدرى أحبا كان أم تألفا ، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يحبهما ابن سمية وابن أم عبد (عمار بن ياسر و عبد الله بن مسعود)

---

(١) د . طه حسين ، مرآة الإسلام ، ص ٢٢٢

فلما جدَّ به وضع يده موضع الأغلال من ذقنه وقال : اللهم أمرتنا فتركنا ، ونهيتنا فركبنا ، ولا يسعُنا إلا مغفرتك ، فكانت تلك هجيرات حتى مات ..

وقال يحي بن بكير : توفي عمرو بن العاص بمصر ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين هجرية ودُفن يوم الفطر بجبل المقطم بالقاهرة .. وسنه نحو مائة سنة .. وصلى عليه ابنه عبد الله وقد خلف أموالا كثيرة وعبيدا .. [1]

- - -

رحم الله عمرو بن العاص

كان من أجل رجال قريش رأيا ودهاءا وحزما وكفاءة وبصرا بالحروب .. ومن أشراف ملوك العرب ومن أعيان المهاجرين كما وصفه الإمام الذهبي ..

سماه عمر بن الخطاب أطربون العرب لشدة فطنته ودهائه ..

كان حاد الذكاء قوي البديهة عميق الرؤية ، واسع الحيلة وكان يجيد استعمالها ليخرج من المآزق والمواقف الحرجة المهلكة .. ومن أبرز هذه المواقف موقفان :

الأول : موقفه مع أطربون الروم فقد نجا منه بحيلة ودهاء جعلت عمر ابن الخطاب يضحك ويقول : غلبه دهاء عمرو ! لله درّ عمرو

(١) سعد يوسف أبو عزيز ، رجال ونساء حول الرسول ، ص ٣٤٩

الثانـي : موقعة صفين .. عندما مالت الحرب إلى جانب علي فاقترح على معاويـة رفـع المصـاحف علـى أسنة الرماح فانخدع جند علي ودب الخلاف بينهم ..

رحم الله عمرو بن العاص ورضي عنه

القسم الثاني

الصفوة من التابعين



هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس ويكنى أبا حفص ..

أمه أم عاصم (ليلى) بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ..

ولد عام ثلاث وستين بمدينة حلوان بمصر ويعد عمر بن عبد العزيز من أفضل خلفاء بني أمية في عدله وزهده حتى اعتبره الجميع خامس الخلفاء الراشدين ، واعتبره البعض امتدادا لعهد جده الفاروق عمر بن الخطاب وكان عمر بن عبد العزيز غاية في التواضع ولين الجانب والزهد ..

- - -

كان من عادة الخليفة عمر بن الخطاب أن يعس بالمدينة ، أي يطوف بالليل يتفقد شئون رعيته وذات ليلة كان الفاروق يعس في المدينة كعادته ومعه مولاه أسلم ، إذ أعياه المسير فاتكأ إلى جدار بيت في جوف الليل ، وإذا به يسمع امرأة داخل البيت تقول لابنتها : يا ابنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه (اخلطيه) بالماء فقالت الفتاة لأمها : يا أمتاه أو علمت بما كان من أمر أمير المؤمنين اليوم .. فقالت الأم : وما كان من أمره يا بنية ؟

قالت : إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء ..

فقالت الأم : يا ابنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر

فقالت الصبية لأمها : يا أمتاه ، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا ، وإن كان عمر لا يرانا فرب عمر يرى ، والله ما كنت لأفعله وقد نهى عنه !!

وسمع عمر الحديث وأعجب به في نفسه ، فتاة تؤثر مراقبتها لربها على طاعة أمها التي تحرص على الربح ..

وهمس عمر إلى أسلم بأن يعلم الباب ويعرف الموضع ، ثم مضى في طريقه ..

وفي الصباح كلف أسلم أن يمضي إلى ذلك الموضع ليعرف من القائلة ومن المقول لها ، وهل لهم من بعل ، فأتى أسلم الموضع وعرف أن الجارية لا بعل لها وأنها من بني هلال وأمها ليس لها رجل فرجع إلى عمر بن الخطاب فأخبره ..

وعلى الفور جمع عمر أولاده وقال لهم : هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ؟

فقال عبد الله : لي زوجة .. وقال عبد الرحمن : لي زوجة

وقال عاصم : يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني

فقال عمر : اذهب يا بني فتزوجها فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب !!

وزوج عمر الفتاة لابنه عاصم فولدت له بنتا اسمها ليلى وتزوجت هذه البنت الأمير عبد العزيز وأنجبت منه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

شج وجه عمر

ضربت عمر بن عبد العزيز وهو صغير دابة في جبهته فجعل أبوه يمسح عنه الدم ويقول : إن كنت أشجَّ بني أمية إنك لسعيد ..

وقد أثر عن عمر بن الخطاب أنه قال :

من ولدي رجل بوجهه شجه يملأ الأرض عدلا .. وقد اشتهر عن عمر ابن عبد العزيز العدل ..

تنبؤ عمر بن الخطاب بمستقبل عمر بن عبد العزيز

استيقظ عمر بن الخطاب ذات صباح فقال :

من هذا الذي من ولد عمر يسمي عمر يسير بسيرة عمر !!

وكان يقول : ليت شعري ، من ذو الشج من ولدي الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جور ..

قال الإمام أبو يحي إمام الموصل : أرسل إليَّ عبد العزيز بن مروان فقال : انظر ، هل ترى في ولدي خليفة ؟ قال : نعم ، هذا العمر ..

فلما استخلف بعث إليه فقال : أما تقول فينا مهدي ؟ فهل تراني ذلك المهدي ؟

قال : لا ، ولكنك رجل صالح

قال : فالحمد لله الذي جعلني رجلا صالحا

والدا عمر بن عبد العزيز [الزواج الصالح]

كانت أم عمر بن عبد العزيز امرأة صالحة طاهرة المنبت .. روت الحديث وعرفت طريق الزهد والتقشف والعبادة وانبسطت يداها بالبر والخير ..

وأما والد عمر فهو عبد العزيز بن مروان أحد أقطاب بني أمية نشأ في المدينة وروى الحديث وتولى إمارة مصر ، وكان رجلا مترفا مكثرا من البناء ، وهو الذي اختط مدينة حلوان ووضع قريبا منها مقياس حلوان .. وكان مضيافا واسع الكرم .. ومع هذا كان ورعا متحرزا يسعى إلى الحلال ويباعد نفسه عن الحرام ..

وأخرج الزواج الصالح فيما أخرج ثمرة طيبة هي عمر بن عبد العزيز

نشأة عمر بن عبد العزيز

أرسله أبوه إلى المدينة المنورة لطلب العلم فتفقه في الدين وروى الحديث ..

وتفرغ عمر بن عبد العزيز في المدينة لطلب العلم فارتشف ما استطاع من رحيق القرآن الكريم وعكف عليه حافظا أو تاليا أو متدبرا ، وقد حقق له هذا العكوف مددا من حسن البيان وروعة الأسلوب ..

وحفظ القرآن الكريم وهو صغير ..

وغزر علم عمر واتسعت معرفته حتى أثنى عليه الأقطاب والأعلام في عصره وحتى نوه به أنس بن مالك وميمون بن مهران فقالا :

أتينا عمر بن عبد العزيز فظننا أنه يحتاج إلينا فإذا نحن عنده تلاميذ .. وما ذلك إلا لعلو قدره وتبحره في العلم حتى قيل أن العلماء عند عمر تلامذة ..

قدم ابن شهاب الزهري على عمر فجعل يعرض عليه علمه فقال له عمر : ما أعلمك .. تعرض علي شيئا إلا شيئا قد مر على مسامعي ، إلا أنك أوعى له مني .. وفي رواية أنه قال : كل ما حدثت به قد سمعته ولكنك حفظت وأنا نسيت

يقول عمر بن عبد العزيز : كنت أصحب الناس مسراتهم وأطلب من العلم شريفه فلما وليت أمر الناس احتجت إلى أن أعلم سفساف العلم ، فتعلموا من العلم جيده وسفسافه ..

وبجوار العلم والمعرفة تاقت نفس عمر إلى الثياب والعطور فكان يكثر من الثياب ذات الثمن واللون والقيمة ، وكان التاجر يأتيه بالثوب من الحرير أو الخز أو الديباج فيعيبه بخشونة في ملمسه ويود أن يكون أرق من ذلك وأنعم ..

وحدث عمر عن نفسه فقال : إن لي نفسا تواقة لم تتق منزلة إلى منزلة فنالتها إلا تاقت إلى ما هي أرفع منها حتى بلغت اليوم المنزلة التي ليس بعدها منزلة ، وإنها اليوم تاقت إلى الجنة ..

ومن أجل هذه الآخرة وما عند الله ترك عمر شهوة اللباس والثياب وأصبح يلبس القديم والمرقع والزهيد الثمن من الثياب ..

ومن أجل هذه الآخرة ترك عمر العطور والخيلاء واقتصد في كل شئ وانصرف عن كل زينة ومتاع .. وصار يخطب الناس وعليه قميص مرقوع ، وصار يكتفي بالثوب الواحد حتى إذا غسلوا له قميصا انتظر حتى يجف إذ ليس عنده سواه ..

صلاته أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك قال : ما رأيت أحدا أشبه بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الغلام – يعني عمر بن عبد العزيز –

وقال ميمون بن مهران : عمر بن عبد العزيز معلم العلماء

وقال خصيف : ما رأيت رجلا خيرا من عمر بن عبد العزيز [1]

عمر بن عبد العزيز والقرآن

حفظ عمر بن عبد العزيز القرآن الكريم منذ صغره وعمل به وقدمه على كل شئ سواه فقد كان عمر بن عبد العزيز يدمن القراءة فيه ويديم المذاكرة له ، فهو يألف المصحف ولا يكاد يمر عليه يوم دون أن يتناوله ويتلو فيه جانبا من القرآن

ويروي عمر عن أبيه عبد العزيز بن مروان عن أبي الدرداء قوله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا خشي أحدكم نسيان القرآن فليقل : اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني وارحمني بترك ما لا يعنيني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، والزم

---

(١) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣٠

قلبي حفظ كتابك كما علمتني ونور به بصري واشرح به صدري واجعلني أتلوه كما يرضيك عني وافتح به قلبي وأطلق به لساني ..

ومن مظاهر تعلق عمر بالقرآن أنه كان يجعله آخر ما ينطق به في يومه ..

- - -

ولما ولي عمر الخلافة وجلس لرد المظالم قام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال : يا أمير المؤمنين ، كتاب الله !

قال عمر : ما ذاك ؟

قال الرجل : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصب أرضي ، والعباس جالس ..

فقال عمر : ما تقول يا عباس ؟

قال : نعم أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلا ..

فقال عمر : ما تقول يا ذمي ؟

قال الرجل : يا أمير المؤمنين اسألك كتاب الله تعالى

فقال عمر : نعم .. كتاب الله تعالى أحق أن يتبع من كتاب الوليد ..

قم يا عباس فاردد عليه ضيعته .. فردها عليه [1]

---

(١) د . أحمد الشرباصي ، خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ، ص ٧٥

شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن عبد العزيز بأنه خير أهل زمانه

قال العباس بن راشد : زار عمر بن عبد العزيز مولاي ، فلما أراد الرجوع قال لي : اخرج معه فشيعه .. فخرجت معه .. فمررنا بواد فإذا نحن بحية سوداء ميتة على الطريق .. فنزل عمر فدفنها .. فإذا هاتف يهتف : يا خرقاء ! يا خرقاء ! إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهذه الحية : لتموتن بفلاة من الأرض ، وليدفنك خير أهل الأرض يومئذ ..

فقال عمر : من أنت يرحمك الله .. ناشدتك بالله إن كنت ممن يظهر إلا ظهرت لي ..

فقال : أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الوادي وإني سمعته يقول لهذه الحية : لتموتن بفلاة من الأرض وليدفنك خير أهل الأرض يومئذ ..

قال العباس : فبكى عمر حتى كاد يسقط من راحلته .. وقال :

يا راشد ، أنشدك الله أن لا تخبر بهذا أحدا حتى يواريني التراب [1]

بشارة الخضر له بأنه سيلي الخلافة

قال رباح بن عبيدة : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وهو أمير على المدينة وشيخ متوكئ على يده ، فقلت في نفسي : إن هذا الشيخ

---

(١) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣٣

جاف حيث يتوكأ على يد الأمير .. فلما صلى ودخل لحقته فقلت له :
أصلح الله الأمير ، من الشيخ الذي كان متوكئا على يدك ؟
قال عمر : يا رباح رأيته ؟ قلت : نعم
قال : ما أحسبك يا رباح إلا رجلا صالحا ، ذاك أخي الخضر ، أتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وإني ساعدك فيها [1]

عمر بن عبد العزيز في التوراة

قال جعفر : سمعت مالك بن دينار يقول : قرأت في التوراة : عمر بن عبد العزيز صديق

وقال هشام بن حسان أن خالدا الربعي قال : قرأت في التوراة : إن السماء والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة [2]

عمر بن عبد العزيز واليا وأميرا

ظل عمر بن عبد العزيز في المدينة حتى بلغ العشرين من عمره فقام بزيارة الشام في خلافة عمه عبد الملك بن مروان وتزوج من ابنة عمه فاطمة ..

وبعد زواج عمر بقليل ولاه عبد الملك بن مروان قناصرة بالشام وكان ذلك عام خمس وثمانين هجرية ..

---

(١) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٤٣
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥

ولما تولي الخلافة الوليد بن عبد الملك بعد وفاة والده سنة ست وثمانين هجرية ولي عمر المدينة لصلاحه وكفايته فظل بها سبع سنين كان فيها مثالا يحتذى في الورع والتقوى ..

وفي إمرته للمدينة وسع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وأدخل حجرات زوجاته فيه ورفع المنارة وجوف المحراب فكان أول من أوجد تجويف المحراب ، وحفر الآبار ..

وكافأه الوليد على تلك الأعمال فجعله عاملا على مكة والطائف فوق إمارة المدينة ..

عمر يراجع الوليد وينصحه

كان عمر بن عبد العزيز ينصح الوليد بن عبد المَلك ويعترض على تصرفات الحجاج الثقفي فأضمر له الحجاج ووشى به للوليد أن يعزله حتى وقع خلاف بين عمر والوليد عندما أراد الوليد أن يعزل أخاه سليمان من ولاية العهد وأن يبايع لابنه ، وأطاعه كثير من الأشراف رغبة أو رهبة .. ولكن عمر أبى أن يخلع رجلا له في عنقه بيعة فلم يخش في الحق لومة لائم ولا سخط الخليفة .. واعترض الوليد .. وأصر عمر على رأيه .. فضيق عليه الوليد حتى أشرف على الهلاك ثم عزل الوليد عمر

وذهب الوليد إلى الرملة في فلسطين بعد ذلك ومات هناك ..

وولي الخلافة بعد الوليد أخوه سليمان بن عبد الملك ، فلم ينس ذلك الموقف الرائع الذي وقفه منه عمر بن عبد العزيز ..

ولما مرض سليمان مرض الموت أراد أن يبايع أحد أولاده فنهاه أحد الصحابة ، وقال له : يا أمير المؤمنين إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستحفظ الناس رجلا صالحا ..

فقال سليمان : استخير الله وافعل .. ثم استشاره في عمر بن عبد العزيز فأثنى عليه خيرا .. وارتضى سليمان ذلك وكتب بذلك عهدا بخط يده ذكر فيه أن الخلافة من بعده لعمر بن عبد العزيز ثم بعد عمر ليزيد بن عبد الملك ..

عهد سليمان إلى عمر بالخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز .. إني وليته الخلافة بعدي ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم .. ثم أمر سليمان أهل بيته أن يجتمعوا فدخلوا فقال لهم :

هذا الكتاب .. هذا عهدي فاسمعوا له وأطيعوا .. بايعوا لمَ سميت في هذا الكتاب .. فبايعوه رجلا رجلا ..

عمر بن عبد العزيز أميرا للمؤمنين

ولما مات سليمان في العاشر من صفر سنة تسع وتسعين هجرية تولى عمر الخلافة في ذلك اليوم ..

وكان أول ما فعله عمر أن خرج إلى المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد .. فإنه ليس بعد نبيكم صلى الله عليه وسلم

نبي ، ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب ، إن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة ، إلا أني لست بقاض ولكني منفذ ، إلا أني لست بمبتدع ولكني متبع ، إلا أنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله عز وجل ، إلا أني لست بخيركم ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملا .. ثم قال :

أيها الناس ، إني والله ما سألتها الله في سر ولا علانية قط ، فمن كره منكم فأمره إليه ، فقام رجل من الأنصار فبايعه وبايعه الناس ..

بذلك كان عمر بن عبد العزيز أشبه الناس بجده عمر بن الخطاب في زهده وتقشفه وإيمانه بالله وتمسكه بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

ونعلم أن عمر بن الخطاب كان يطعم الرعية ويبيت جائعا ، وكان يكسوا الرعية ويرقع ثوبه ..

وسار عمر بن عبد العزيز على نهج جده فقد أصبح بيت المال في عهده متخما وأمير المؤمنين لا يملك درهما .. هكذا صرح أمين بيت المال في عهده ..

سأل عمر بن عبد العزيز زوجته أعندك درهم نشتري به عنبا ؟

قالت : لا

أمير المؤمنين لا يملك ولا يوجد في بيته درهما يشتري به عنبا

خامس الخلفاء الراشدين

قال سفيان الثوري : الخلفاء خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ومن قال بغير هذا فقد اعتدى ..

عمر مرشد المائة الأولى والشافعي مرشد المائة الثانية

قال الإمام أحمد بن حنبل : يروى في الحديث أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها ، فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي ..

الخليفة الصالح

لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاة الشاة في ذروة الجبال : مَنْ هذا الخليفة الصالح الذي قد قام على الناس .. فقيل لهم : وما علمكم بذلك ؟

قالوا : إنا إذا قام على الناس خليفة صالح ، كفت الذئاب عن شأننا ، لقد اختفت الذئاب فعلمنا أن رجلا صالحا ولي أمر الأمة ..

قال موسى بن أعين كنا نرى الشاة يكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الشاة والذئب ترى والله في مكان واحد ، فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة فقلت : ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك .. فحسبوا فوجدوه قد مات في تلك الليلة ..

ولقد أدخل عمر كثير من الإصلاحات لصالح الإسلام والمسلمين وإن نقصت من بيت المال ، فقد رفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة وكان

من أثر ذلك أن زاد إقبال الناس على الإسلام وأن نقص إيراد بيت المال نقصا محسوسا ، وأجزل العطاء للفقراء والمحتاجين .. ولما كتبت الحجبة إلى عمر بن عبد العزيز ليأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من كان قبله كتب إليهم :

إني رأيت أن أجعل ذلك في أكباد جائعة فإنه أولى بذلك من البيت ..

وكان يراقب عماله ويأمرهم بالقيام بالعدل

يقول عمر بن عبد العزيز : إذا جاءك الخصم وقد فقئت عينه ، فلا تحكم له حتى يأتيك الخصم الآخر فلعله قد فقئت عيناه معا !!

الخليفة الباكي

دخلت فاطمة بنت عبد الملك على زوجها عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة فوجدته يبكي فسألته : فيم البكاء ؟

فقال : ويحك يا فاطمة .. إني وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ففكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، واليتيم المكسور والمظلوم المقهور والغريب والأسير والشيخ الكبير والأرملة الوحيدة وذي العيال الكثير والرزق القليل ، وأشياعهم في أقطار الأرض وأطرف البلاد ، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم يومئذ محمد صلى الله عليه وسلم فخشيت ألا تثبت لي حجة فلذلك أبكي ..

وكان يجمع الفقهاء عنده كل ليلة يتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة ..

وكان يسمع العظة فيبكي حتى يسقط مغشيا عليه ..

وكان إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير وبكى حتى تجري دموعه على لحيته ، ولقد بكى ذات يوم حتى أبكى من حوله ثم قالت له زوجته بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت ؟

قال : ذكرت منصرف القوم بين يدي الله فريق في الجنة وفريق في السعير ثم صرخ وغشي عليه ..

كان يبكي كلما قرأ أو استمع إلى آيه تتحدث عن الموت والبعث والدار الآخرة ..

قالت عنه زوجته : قد يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصياما من عمر ، ولكني ما رأيت أحدا قط كان أشد خوفا من ربه من عمر كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده ثم رفع يديه فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه فيسقط

حصنها بالعدل

كتب إليه بعض عماله أن مدينتهم قد خربت وطلبوا منه أن يقطع لهم مالا لترميمها وتحصينها فكان رد عمر : حصن مدينتك بالعدل وطهر سبلها من الظلم ، فإنه مرمتها ..

ولما اشتكى أحد عماله قلة الخراج بكثرة دخول الناس في الإسلام كتب إليه : فهمت كتابك ، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا

وكان يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الخاصة .. وكان يخوف عماله من عقاب الله ..

عمر بن عبد العزيز وزوجته

كانت زوجة عمر تطمع أن يجعل لها مخصصات من مال الدولة كما كان يفعل الخلفاء من بني أمية مع أقربائهم وأحبائهم ، ولكن عمر رفض ذلك قائلا : لا ولك من مالي سعة .. بل إنه ذهب لأبعد من هذا فقد كان لزوجة عمر جواهر أمر لها بها أبوها فطلب منها عمر رد هذه الجواهر إلى بيت المال وخيرها بينه وبين هذه الجواهر فقال : إما أن تردي حليك إلى بيت المال ، وإما أن تأذني لي في فراقك ، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهي في بيت واحد .. فقالت لا بل أختارك أنت .. فأمر فحملت الجواهر إلى بيت المال ..

فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لأخته فاطمة زوجة عمر إن شئت رددت إليك جواهرك ..

قالت لا .. والله لا أطيب به نفسا في حياته وأرجع فيه بعد وفاته

- - -

اشتهى عمر التفاح فأهداه رجل من أهل بيته تفاحا فلم يقبله وقال : كانت الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم هدية ، ولنا اليوم رشوة ..

عمر يطلب الموعظة

كان عمر بن عبد العزيز الإمام العادل لا يلقى أحدا من أهل الموعظة والتوجيه إلا طلب إليه أن يعظه ..

ولما ولي عمر الخلافة كتب إلى الحسن البصري يطلب النصيحة وأن يكتب إليه بصفة الحاكم العادل .. فكتب إليه الحسن يقول :

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوّام كل مائل ، وهداية كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف .

وكتب إليه طاوس التابعي :

إذا أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير ..

فقال عمر : كفى به موعظة

ابن عمر يعظ أباه

في أول يوم لخلافة عمر بدأ بمواساة أولاد سليمان ، ثم قام بتنفيذ العاجل من الأمور حتى تعالت الشمس وجاء وقت القيلولة وقد بلغ به التعب مبلغه فأراد أن يستريح قليلا .. فجاءه ابنه عبد الملك ، وكان تقيا صالحا ورعا فقال لأبيه : يا أمير المؤمنين .. ماذا تريد أن تصنع ؟

قال عمر : يا بني .. أريد أن أقيل

قال عبد الملك : تقيل ولا ترد المظالم ؟

قال عمر : أي بني .. إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم ..

قال عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، من لك أن تعيش إلى الظهر ؟

قال عمر : ادن مني أي بني

فدنا منه وَلده فاحتضنه وقبله بين عينيه وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني .. ثم خرج ولم يسترح وأمر مناديه أن ينادي في الناس ألا من كانت له مظلمة فليرفعها ..

وجاء الناس بمظالمهم وجعل الخليفة الثائر على الظلم والبغي والجور لا يدع شيئا مما كان في يد سليمان أو في يد أهل بيته من المظالم إلا رده مظلمة مظلمة ..

في ذكر تواضعه

- قال رجاء بن حيوة : سمرت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فاعتل السراج ، فذهبت أقوم أصلحه فأمرني عمر بالجلوس ، ثم قام فأصلحه ثم عاد فجلس وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز ، ولؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه ..
- وكان يقول : رحم الله امرءا عرف قدره
- دخل عمر المسجد فمر في الظلمة برجل نائم فتعثر به فرفع الرجل رأسه إليه وقال : أمجنون أنت ؟ قال عمر : لا

فهم به حارسه فقال له عمر : إنما سألني أمجنون أنت ؟ فقلت لا

مناجاته لربه

كان يناجي ربه ويدعوه .. اللهم إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني فإن رحمتك وسعت كل شئ وأنا شئ فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين ..

اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد .. ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الكفر فاغفر لي ما بينهما ..

وكان يقول : أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم

- لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب
- إن ابتلاك الله بفقر فتعفف
- ليس الثائر على الظالم عصيا .. بل الإمام الظالم هو العاصي
- بؤسا لمن كان بطنه أكبر همه
- لا تخلون بامرأة غير ذات محرم وإن علمتها القرآن
- لا تقبل المعروف ممن لا يصنعه إلى أهل بيته
- من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح
- الفعال أولى بالمرء من القول

رؤية عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام

قال عمر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : ادن يا عمر ، ثم قال لي : ادن يا عمر ، ثم قال لي : ادن يا عمر حتى كدت أن أصيبه .. ثم قال لي : يا عمر ! إذا وُليت فافعل في ولايتك نحوا من عمل هذين وإذا كهلان اكتنفاه ..

قلت : من هذان ؟

قال : هذا أبو بكر .. وهذا عمر ..

ورؤي له في المنام

عن ابن المهاجر أن رجلا من أهل البصرة رأى في منامه كأن قائلا يقول له : تحج من عامك هذا .. فقلت : والله مالي من مال فمن أين أحج ؟

قال : احتفر موضع كذا من دارك فإن فيه درعا فبعها ثم حج ، فلما أصبحت احتفرت فاستخرجت درعا فبعتها وحججت وقضيت مناسكي وجئت إلى المدينة لأودعه صلى الله عليه وسلم فبينما أنا كذلك إذ غشيتني نعسة ، وإذا النبي صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وعمر يمشي بينهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم ائت عمر بن عبد العزيز فأقرأه مني السلام وقل له : إن رسول الله يقول إن اسمك عندنا عمر المهدي وأبو اليتامى وإياك أن تحيد عن طريقة هذا وطريقة هذا فيحاد بك فانتبه وهو يبكي ويقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني فلو كانت رسالته في الظلمات لم أدعها أو أبلغها وأموت .. فأقبل إلى الشام ، إلى عمر وكان بدير سمعان فأتى حاجبه فقال : استأذن لي عمر وقل له : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستضعف الحاجب قوله ، ثم أتاه في اليوم الثاني ، فقال له : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا رسول رسول الله فقال الحاجب : هذا مولّه ليس له عقل ، ثم استأذن في اليوم الثالث فقال : يا عبد الله من أنت وما تريد ثم دخل على عمر وقال : يا أمير المؤمنين هذا إنسان ولع الاستئذان عليك فإذا قلت من أنت ؟ قال : رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأذن له فدخل على عمر فقال : من أنت ؟ فقال : أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بقصة رؤياه وما رأى في منامه فقال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وعمر وأخبره بالذي أمره به صلى الله عليه وسلم وقال : إياك أن تحيد عن طريق هذا وهذا فيحاد بك غدا عنا .. فقال عمر : مُروا له بكذا وكذا ..

قال : ما أقبل لرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ولو أعطيتني جميع ما تملك ، ثم خرج عنه [1]

وفاته

توفي عمر بن عبد العزيز في شهر رجب سنة إحدى ومائة وكان عمره تسع وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ودُفن بدير سمعان

وكان عهد عمر بن عبد العزيز برغم قصره من أروع عهود الخلفاء حتى أن بعض المؤرخين عده متمما لعهد الخلفاء الراشدين

- - -

رحم الله الإمام العادل التقي الرشيد ، الحكيم ، الراعي ، صاحب الكلمة الوجيزة الجامعة ، العدل المطلق ، معلم العلماء ، الإمام الجليل والحاكم العادل ..

---

(١) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٧ بتصرف

الخليفة الثائر على الظلم والبغي والجور ، الخليفة الراشد والولي القاصد .. الخليفة الباكي ..

أعلمه الخضر أنه سيلي أمر هذه الأمة وأنه سيعدل فيها ..

جاء في التوراة أن عمر بن عبد العزيز صديق وأن السماء والأرض تبكيان عليه أربعين سنة ..

رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجلس بين أبو بكر وعمر بن الخطاب وطلب منه رسول الله أن يسير على نهجهما ..

حفظ القرآن منذ صغره .. وكانت صلاته أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خير أهل زمانه ..

رحم الله الخليفة الصالح العادل .. والعالم .. عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين

{ المراجع }

- **القرآن الكريم**
- **ابن الأثير** / أسد الغابة في معرفة الصحابة
- **الإمام ابن الجوزي** / سيرة عمر بن عبد العزيز
- **الإمام ابن حجر العسقلاني** / الإصابة في تمييز الصحابة
- **الإمام ابن حجر العسقلاني** / فتح الباري في شرح صحيح البخاري
- **ابن سعد** / الطبقات الكبرى
- **ابن كثير** / البداية والنهاية
- **ابن هشام** / السيرة النبوية
- **أبو جعفر محمد بن جرير الطبري** / تاريخ الطبري
- **د. أحمد الشرباصي** / خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز
- **الحافظ أبو نعيم** / حلية الأولياء
- **الحافظ الذهبي** / سير أعلام النبلاء
- **الإمام السيوطي** / الدّر المنثور في التفسير بالمأثور
- **أمينة الصاوي** / الكعبة المشرفة
- **الإمام جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدس (ابن المبرد)** / الشجرة النبوية في نسب خير البرية / دار حراء

- **جمال بدوي** / مصر من نافذة التاريخ
- **خالد محمد خالد** / رجال حول الرسول
- **سعد يوسف أبو عزيز** / رجال ونساء حول الرسول
- **سنية قراعة** / نساء محمد
- **الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه** / زاد المعاد في هدي خير العباد / دار الريان للتراث
- **د. طه حسين** / الشيخان
- **د. طه حسين** / مرآة الإسلام
- **د. طه حسين** / الوعد الحق
- **د. عائشة عبد الرحمن** / تراجم سيدات بيت النبوة
- **عبد الرحمن الشرقاوي** / الفاروق عمر بن الخطاب
- **عبد الرحمن الشرقاوي** / محمد رسول الحرية
- **الإمام محمد أبو زهرة** / خاتم النبيين
- **محمد الصايم** / نساء أحبهم الرسول
- **الشيخ محمد الغزالي** / خلق المسلم
- **الشيخ محمد الغزالي** / فقه السيرة تحقيق الألباني
- **محمد حمدي عبد الحميد** / مدرسة الرسول
- **د. محمد رجب البيومي** / أبو عبيدة بن الجراح
- **محمد رضا** / الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين

قائمة المحتويات

الموضوع	صفحة
إهداء	
○ مقدمة	٤
○ القسم الأول " الصفوة من الصحابة والتابعين "	٩
○ أبو عبيدة بن الجراح " أمين الأمة "	١١
من مناقبه	١٢
جهاده في سبيل الله	١٥
غزوة بدر	١٥
غزوة أحد	١٥
غزوة ذات السلاسل	١٦
الرضا بقضاء الله	٢٤
ذكر وفاته رضي الله عنه	٢٤
○ عبد الله بن العباس " حبر الأمة وترجمان القرآن "	٢٧
الرسول يعظ ابن عباس	٣٠
انذر عشيرتك الأقربين	٣٠
إبليس في دار الندوة	٣١
صيام عاشوراء	٣٥
عبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب	٣٧
اغتيال عمر بن الخطاب وشهادة ابن عباس له	٣٩
مناقبه	٤٥
عبد الله بن عباس يفقد بصره	٥٢
وفاته	٥٣
آية عند الوفاة	٥٤
○ خالد بن الوليد " سيف الله المسلول "	٥٥
إسلامه	٥٦

مواقف خالدة لفارس الإسلام ٥٨
غزوة مؤتة ٥٨
يوم فتح مكة ٥٩
خالد وأكيدر دومة ٦٠
إسلام بني الحارث بن كعب على يد خالد بن الوليد ٦١
مع الخليفة أبو بكر الصديق ٦٤
خالد بن الوليد وحروبه مع المرتدين ٦٥
معركة اليمامة ٦٧
خالد بن الوليد وحروبه مع الفرس ٦٨
خالد بن الوليد وحروبه في الشام ٧٠
في خلافة عمر بن الخطاب ٧١
معركة اليرموك ٧١
وفاته ٧٦
- أبو هريرة " أحفظ من روى الحديث في دهره " ٧٩
لماذا أكثر من رواية الحديث عن غيره ٨١
معاناته من الجوع ٨٣
علمه وتقواه ٨٥
أبو هريرة يأبى الولاية ٨٧
وفاته ٨٨
- طلحة بن عبيد الله " شهيد يمشي على الأرض " ٩١
مناقبه ٩٤
وفاته ٩٥
- أنس بن مالك " صلاته أشبه بصلاة رسول الله " ٩٧
صلاته أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩٩
مناقبه ٩٩
روايته للحديث ١٠٠
وفاته ١٠٠
- أبو ثعلبة الخشني " مات وهو ساجد " ١٠٣
وفاته ١٠٥

- عبد الله بن حذافة " تمنى أن يقتل في سبيل الله بعدد شعر رأسه " ١٠٧
  - الرسول يرسله بكتاب إلى كسر ملك الفرس ١٠٨
  - عبد الله بن حذافة أسيرا عند ملك الروم ١٠٩
  - وفاته ١١٠
- البراء بن مالك " قتل مائة من الشجعان مبارزة " ١١٣
  - من مناقبه ١١٤
  - مواقف بطولية للبراء بن مالك ١١٤
  - معركة اليمامة ١١٤
  - موقعة تستر ١١٦
- حارثه بن النعمان بن نفيع الأنصاري " يرتل القرآن في الجنة " ١١٩
  - مناقبه ١٢٠
  - وفاته ١٢١
- معاذ بن جبل " إمام العلماء يوم القيامة " ١٢٣
  - فضائله ١٢٤
  - تعبده واجتهاده ١٢٥
  - ورعه ١٢٦
  - عن زهده ١٢٦
  - ثناء رسول الله على معاذ ١٢٧
  - مواعظه ١٢٩
  - صفحات مضيئة من حياته ١٣١
  - الصبر عند نزول البلاء ١٣١
  - وفاته ١٣٢
- خبيب بن عدي بن مالك " بليع الأرض " ١٣٥
  - ذكر يوم الرجيع سنة ١٣ هجرية ١٣٩
  - حسان يبكي خبيبا ١٣٩
- عبد الرحمن بن عوف " الصحابي الذي صلى رسول الله خلفه في غزوة تبوك " ١٤١

مناقبه ١٤٢
عفافه رضي الله عنه ١٤٤
على فراش الموت ١٤٥
وفاته ١٤٥
- جليبيب " الصحابي الذي حمله رسول الله على ساعديه حتى وضعه في قبره " ١٤٧
- عبد الله بن الزبير " الجنين المهاجر " ١٥٣
عبد الله بن الزبير وعمر بن الخطاب ١٥٦
يوم الجمل ١٥٦
تقواه ١٥٧
جهاده في سبيل الله ١٦١
توليه الخلافة ١٦١
مقتل عبد الله بن الزبير ١٦٢
- سعيد بن عامر بن خذيم " الأمير الفقير" ١٦٧
سعيد يقبل الولاية ١٧٠
الأمير الفقير ١٧١
شكوى أهل حمص من سعيد بن عامر ١٧٣
وفاته ١٧٦
- عمرو بن العاص "أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص" ١٧٧
إسلامه ١٧٨
إخلاصه ١٧٩
رسول الله يؤمره في غزوة ذات السلاسل ١٨١
ارتداد العرب ١٨٢
جهاد عمرو بن العاص في سبيل الله ١٨٣
عمرو بن العاص وفتح مصر ١٨٦
الجفاف والجوع عند العرب ونجدة مصر لهم ١٩٠
موقعة صفين ١٩١
وفاته ١٩٤
- القسم الثاني " الصفوة من التابعين " ١٩٧

○ عمر بن عبد العزيز " خامس الخلفاء الراشدين "
شج وجه عمر ٢٠٠
تنبؤ عمر بن الخطاب بمستقبل عمر بن عبد العزيز ٢٠٠
والدا عمر بن عبد العزيز { الزواج الصالح } ٢٠١
نشأة عمر بن عبد العزيز ٢٠١
صلاته أشبه بصلاة رسول الله ٢٠٣
عمر بن عبد العزيز والقرآن ٢٠٣
شهادة رسول الله لعمر بن عبد العزيز بأنه خير أهل زمانه ٢٠٥
بشارة الخضر له بأنه سيلي الخلافة ٢٠٥
عمر بن عبد العزيز في التوراة ٢٠٦
عمر بن عبد العزيز واليا وأميرا ٢٠٦
عمر يراجع الوليد وينصحه ٢٠٧
عهد سليمان إلى عمر بالخلافة ٢٠٨
عمر بن عبد العزيز أميرا للمؤمنين ٢٠٨
الخليفة الصالح ٢١٠
الخليفة الباكي ٢١١
حصنها بالعدل ٢١٢
عمر بن عبد العزيز وزوجته ٢١٣
عمر يطلب الموعظة ٢١٣
ابن عمر يعظ أباه ٢١٤
في ذكر تواضعه ٢١٥
مناجاته لربه ٢١٥
رؤية عمر لرسول الله في المنام ٢١٦
رؤى له في المنام ٢١٧
وفاته ٢١٨
○ قائمة المراجع ٢٢٠

وكالة الصعيد للدعاية والإعلان

سجل تجاري ٣١٥٧٩ بنىسويف

ت : ٢٣٤٨١٤٤ ــ ٠٨٢

٢٢٠٣٠٩٠

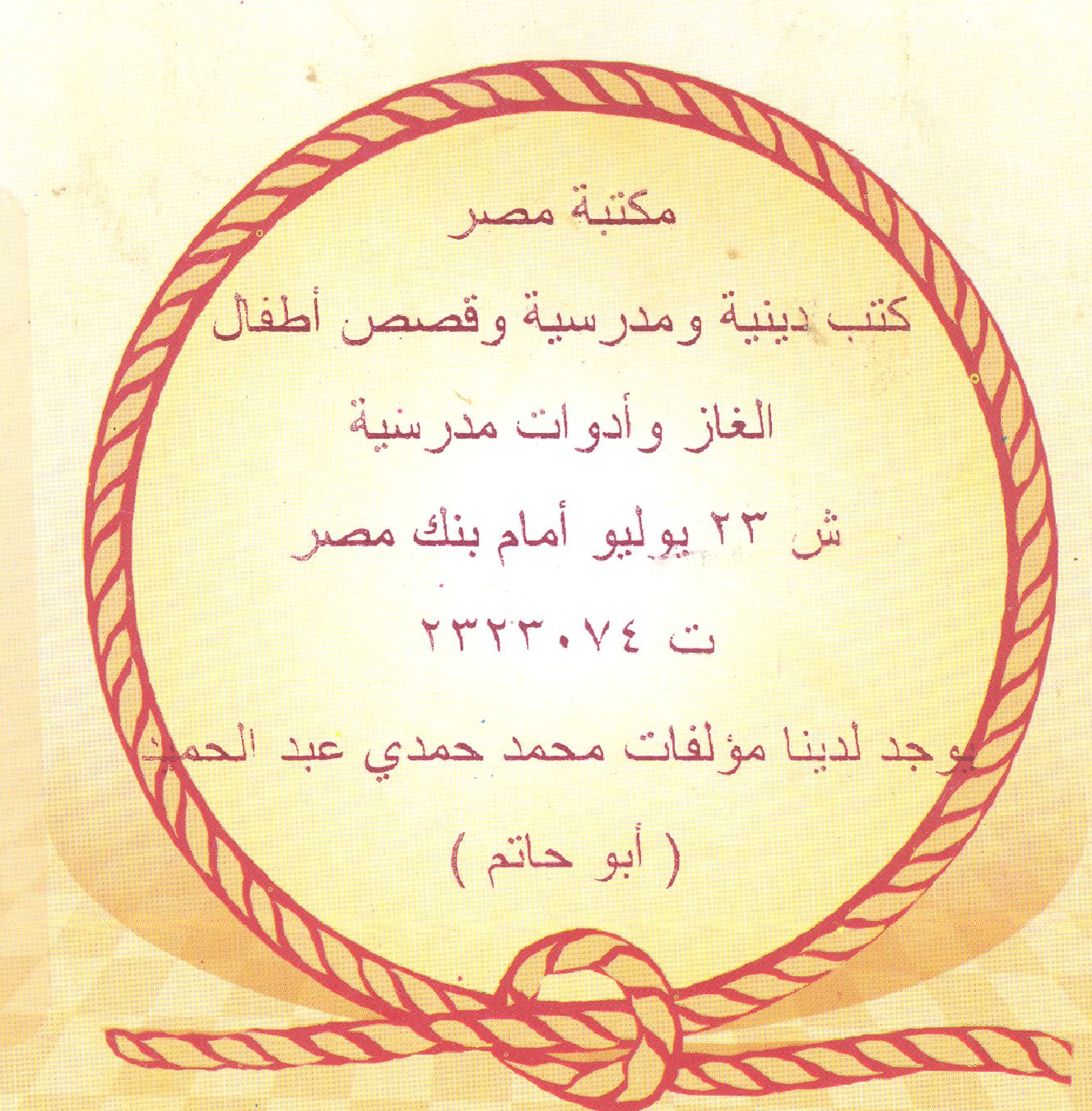
المدير المسئول : جمال عمران

مكتبة الإسكندرية

كتب للمؤلف

- مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم
- الصفوة من الصحابة والتابعين
- أولو العزم من الرسل — تحت الطبع
- المبشرون بالجنة — تحت الطبع

الثمن ١٠ جنيهات





217 AlAqsa